السنة الحادية عشرة   العدد ١   كانون الثاني   سنة ١٩٠٨

المشرق

التذكار المئوي لوفاة الفم الذهبي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

{ هوذا الكاهن العظيم الذي ارضى الله
في ايامهِ ووُجِد برًّا كاملًا }

هو الثناء الطيب الذي استعارتهُ الكنيسة من اقوال ابن سيراخ لتباركَ بهِ كهنتها العظام. الذين انشأ الربُّ فيهم مجدًا كثيرًا وابدى على يدهم عظمتهُ بين البشر «اولئك الذين كانوا «رجال اسمٍ وبأسٍ فخلّفوا لهم ذكرًا يُخبَر بمدائحهم. اجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال»

على انَّ بين اولئك الائمة الفطاحل قد برَزَ افرادٌ يتلألأ نورهم في فلك الكنيسة كالكواكب الزُّهر او النيّرات الساطعة التي تشعُّ بضيائها فيقرُّ بها البصر حيثما مال. وقد شبّههم السيّد المسيح بسرجٍ على منائر يستضيء بهم اولاد الله ويقتبسون من انوارهم في كل اطوار الحياة. او قل بالحري انهم في عالم الدين بمثابة العناصر التي يستمدُّ منها المرء لنموّ جسمهِ وكمال معاشهِ. ولا جرم انَّ القديس يوحنَّا المعروف بفم الذهب في مقدّمة اولئك الرجال العظام الذين تفتخر الكنيسة بآثرهم وتستقي من مواردهم لاسيّا الكنائس الشرقيَّة التي شحنت طقوسها من اقوالهِ وتعاليمهِ فلا تكاد تتمّ رتبةً الّا تتغنّى بمعالهِ وتتقرَّب الى الله بادعيتهِ

فلله درّ الكنيسة الرومانيَّة التي لم تشأ ان تمرَّ عليها السنة ١٩٠٧ وهي تمام المئة الخامسة عشرة لوفاة ذلك الملفان الكبير دون ان تقيم لذكرهِ اعيادًا حافلة في عاصمة الكثلكة لتشيد بمحامدهِ وتنشر على رؤوس الملاء مفاخرهُ. وقد أعلمتنا اخبار رومة ما

عُقد فيها من الحفلات الشائقة وتُلي من الخطب الرائقة في نوادي الادباء. منذ الشهر الاول الذي فيه كانت وفاة القديس ثمَّ تتابعت هذه مجالي الإكرام والعزّ في الاشهر التالية فزادت بهاء ورونقاً حتى تبلغ غايتها في أواخر كانون الثاني من هذه السنة الجديدة حيث يقع تذكار عيده في الكنيسة اللاتينيَّة

فما احقَّ بالنصارى الشرقيين عموماً والسوريين خصوصاً ان يشاركوا الكنيسة البطرسيَّة بفرائض الشكر وواجبات الاكرام يقدّمونها لذلك العلَم الشهير الذي وُلد في مواطنهم وقدَّس بلادهم باعماله الخطيرة وشرَّفهم بتآليفه الممتازة ومواعظه المجديَّة. وقد سرَّنا انَّا رأينا غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك تأسى بأمّ الكنائس فاقام الرُّتب البهجة واحتفل الحفلات الشهيَّة في الاستانة العليَّة حيث سطع ذلك النور الأنور على كرسيّ القسطنطينيَّة فزيَّنهُ بفضله وفضائله وخلَّد له ذكراً لا تطمسهُ الدهور

وهذه مراسيم الشكر والامتنان تحدو بنا أن نفتتح سنتنا الجديدة بمقالة نخصُّها بذكر وطنيّنا العظيم ونتيمَّن بتدوين اسمه في هذه المجلّة التي وقفناها على مثاله لخدمة الدين والعلم

وليست بُغيتنا هنا ان نسرد كل اعمال الذهبي الفم فان ذلك مقتضي مجلدات ضخمة سبقتنا اليها غيرنا من الكتبة وانَّما نكتفي ان نمثل شيئاً زهيداً من مآثره في اسقفيته فنبيّن انهُ كان قدوةً للاحبار وصورةً حيَّة لرعاة الكنيسة

قد اختصر السيد المسيح لذكره المجد واجبات خدمة الدين بهذه الآية لمَّا قال في انجيله الطاهر (متى ٥ : ١٩) : « الذي يعمل ويُعلّم ذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . وقد تقدَّم الربّ وجعل نفسهُ قدوة لرعاة الكنيسة « في جميع الامور التي عملها وعلَّم بها » (اعمال ١ : ١) فوضع كمال الكهنوت في العمل اوَّلاً ثم بالتعليم لأنَّ الكاهن ولاسيما الاسقف الذي هو رأس الكهنة أُقيم راعياً للنفوس ومن شأن الراعي ان يتقدَّم خرافهُ فتمشي هي على آثاره وتقتدي بهِ وتسمع صوتهُ

وقد حقَّق يوحنَّا فم الذهب في نفسهِ هذا الكمال الكهنوتي فكان في كلّ اطوار حياتهِ وبالاخصّ في مدَّة اسقفيتهِ رجلَ عملٍ وعلمٍ. قلَّما نال غيرهُ منها ما اصابهُ هو

رجل العمل

ظهر يوحنا فم الذهب في عصر كثرت فيه الرجال العظام فكانت الكنيسة بعد المحن والاضطهادات التي صادفتها في القرون الثلاثة الاولى قد انتصرت على اصنام الوثنية فجلست بهمّة قسطنطين الكبير على منصّة المجد والبهاء كالشمس تبدّد السحب الحاجبة لنورها فتبعث باشعتها الساطعة الى اقاصي السماء. فأتى القيت الابصار رأيت جهابذة سموا بفضلهم وزيّنوا مواطنهم بعلومهم ومآثرهم. فازدهت رومية بعظيم احبارها داماسوس واعتزّت ايطالية بامبروسيوس وافتخرت غالية بايلاريوس وتباهت افريقية باوغسطينوس وتشرّفت فلسطين بايرونيموس واستنارت مصر باثناسيوس وتغنّت الجزيرة بأناشيد افرام السرياني كما طربت بلاد بنطوس بقصائد غريغوريوس اللاهوتي واعتزّت بتعاليم باسيليوس الالهي. فلم يشأ الله ان تعدم سواحل الشام كوكباً زاهراً فجعل حصّتها يوحنا الذهبي الفم ليضمّ نوره الى تلك الثريا النيّرة وحبّذا النصيب

كان مولد يوحنا في انطاكية نحو السنة ٣٤٤ من اب قائد لجند الرومان اسمه سكندس ووالدة تُدعى انتوسة وكان كلاهما مسيحياً على خلاف ما زعم بعض الكتبة انهما تنصّرا بعد ولادة ابنهما. ثم توفي سكندس ولم يبلغ الولد سوى اربع سنوات فعطفت عليه والدته ولم تشأ لها تعزية الّاه فترعرع الغلام في حجر أمه وما لبث ان احيا فيه شهامة والده الجندي ودماثة اخلاق والدته وذكاء اهل وطنه

فلمّا رأت انتوسة مخايل النجابة لائحة على محيّا ولدها وآنست رغبته الى العلوم سلّمته الى ابرع اساتذة وطنه وكانت انطاكية في ذلك العهد امّ مدن المشرق تباري اكبر حواضر العالم الروماني بمدارسها وصيت معلّميها. فبعد ان اتقن يوحنا قواعد الايمان ومبادئ الادب تخرّج في فنّ البلاغة على خطيب زمانه المصقع ليبانيوس فاقرّ له استاذه بعد حين بالسبق على اقرانه. ثم درس الفلسفة على اندراغاتيوس احد ائمة الفلاسفة فاصبح اماماً في كل مشكلاتها. ثم اضاف الى هذه المعارف الدنيوية ما هو اسمى واشرف فتتلمذ لاستاذين فاضلين كرتيريوس وديودوروس واخذ عنهما العلوم الدينية النظرية والعملية فوجداه عمّا قليل اهلاً لأن يتصدّر لارشاد غيره في هذه الفنون كلها

على انّ يوحنا لم يتفرّغ لتلك الدروس لغاية بشريّة ليرتزق منها او ليطلب بها جاهاً وفخراً بل اتخذها ليستعين بها في انتهاج سُبل الكمال فباشر مذ ذاك الحين تلك الاعمال التي سمَت به الى اعلى مراتب القداسة

واوّل عملٍ صرف اليه نظرهُ زهدهُ بالدنيا وملاذّها فاقتبل سر العموديّة على حسب عادة نصارى عصرهِ الذين كانوا يؤخرون عمادهم الى سنّ الشباب او الكهوليّة ثمّ انتظم في سلك المترشحين للكهنوت لكنهُ تخوّف من اعباء تلك الرتبة السامية فآثر عليها العيشة النسكيّة فهجر وطنهُ وودَّع والدتهُ الاسيفة على فراقهِ وفرّ هارباً الى الجبال المجاورة لانطاكية لينقطع لخدمتهِ تعالى في جملة جماهير النساك الذين كانوا تألبوا في تلك القفار ليجددوا هناك عجائب رهبان الصعيد والسقيط. فاندمج في سلكهم واقتبس من انوارهم واستسلم لكل اعمال الزهد وشظف العيش والتقشف التي مارسها سيّدهُ يوحنا الصابغ فكان يلبس المسوح الخشنة ويأكل مرةً في النهار عند المساء قليلاً من الخبز القفار الاسود لا يأدمهُ بغير الملح وينام مراراً على الحضيض ويقسم بقيّة وقتهِ بين الصلاة الى الله والاشغال اليدويّة الشاقة

وكأنّ يوحنا لم يجد في هذه المناسك ما يروي غليلهُ من التقشفات فتوغّل في البراري وأوى الى مغارة عند مصبّ نهر العاصي فعاش هناك عيشة اقرب الى عيشة الملاك منها الى عيشة البشر فكان يستغرق في الصلاة ليلاً مع نهار ويتأمل في معاني الاسفار المقدسة وهو لا يقتات الّا بحشائش البرّ بل كاد ينسى أنّ له جسداً لا يقوى على مثل هذا العنف فأصيب بعد مدةٍ بداء عضال اضطرهُ الى ان يعود على رغمٍ منهُ الى وطنهِ. لأنّ الله وجدهُ بعد اعتزالهِ عن ضوضاء العالم وتجرّدهِ عن كل حطامهِ آلةً اهلة بمجدهِ واناء مختاراً يحمل اسمهُ بازاء الشعوب والملوك فلم يشأ ان يترك هذا النور تحت المكيال

فما نقه يوحنا من مرضهِ حتى عوّل ملاتيوس بطريرك انطاكية على ترقيتهِ الى درجة شماس انجيلي فوضع على راسهِ اليدين وخصّهُ بخدمة المذابح دون أن يعير سمعاً لامتناعهِ وابائهِ. ثمّ القى على عاتقهِ شيئاً من اعباء الاسقفيّة كنظارة اوقاف الكنيسة وتوزيع الصدقات وارشاد الموعوظين ومشاركة الاسقف في خدمة الاسرار الالهيّة. فقام بكل هذه المهام احسن قيام حتى انّ ملاتيوس وكل اليهِ السهر على شؤون الرعيّة في غيبتهِ

لمّا دُعي الى حضور المجمع القسطنطيني الاوَّل المنعقد سنة ٣٨١ لنفي تعليم مكدونيوس المبتدع في لاهوت الروح القدس

ثمَّ توفي ملاتيوس في القسطنطينيَّة وخلفهُ على كرسي انطاكية فلابيانوس الذي عرف عند قدومهِ الى انطاكية ما بذلهُ يوحنّا من العناية في ضبط الامور وحفظ النظام فلم يتردَّد في ترقيتهِ الى الكهنوت سنة ٣٨٦ ليتخذهُ كمساعد لهُ في كلّ الخدم المقدَّسة من وعظ وتعليم وارشاد واسعاف الفقراء وعيادة المرضى · وكانت في المدينة بقايا عادات مستهجنة وخرافات وثنيَّة ورثها الانطاكيون من عبدة الاصنام آبائهم فأصلاها القديس حربًا عوانًا حتى استأصلها من قلوبهم · وكذلك سعى السعي الطيب في ردّ الخطأة الى التوبة فأناب على يدهِ منهم عددٌ لا يفي بهِ الاحصاء · وخلاصة القول جعل نفسهُ على مثال بولس الرسول كلًّا للكل حتى يربح الكلّ للمسيح

وقد ظهرت اعمال غيرتهِ الملتهبة وتفانيهِ في سبيل الخير العام سنة ٣٨٧ اذ اوغر الانطاكيون صدر ثاوضوسيوس الكبير لضرائب استثقلوا وطأتها فأبوا وفاءها وأخلد بعضهم الى الفتن وكسروا تمثال الملك فكاد هذا العمل يجلب عليهم الويلات لولا حكمة يوحنا الذي قام وقعد ليطفئ نار غضب الامبراطور ويخلّص المدينة مما تهدّدها من العقاب الاليم فترأف الله على شعبهِ وصرف عنهُ ضربةً لازبة كانت لو حلّت عليهِ بدّدت شملهُ وجعلت انطاكية قاعًا صفصفًا · وانَّما كان الفضل الاعظم في ذلك للذهبيّ الفم ولفلابيانوس الاسقف

وكان يوحنّا انتهز تلك الفرصة ليزرع في قلوب الانطاكيين اغراس الفضائل المسيحية ويسوقهم الى كل المساعي الخيريَّة فاضحت تلك العاصمة قدوةً لغيرها من المدن وبقيت على صلاحها زمنًا طويلًا

بقي يوحنّا في انطاكية عشر سنوات يكدّ ويجدّ في فلاحة كرم الرب وتقليم اغصانهِ ليزيد جناهُ حتى اتَّجهت اليهِ انظار الملك اركاديوس بن ثاوضوسيوس واتروب كبير وزرائهِ وجميع آل بلاطهِ ليعهد اليهِ تدبير الكنيسة القسطنطينية المترملة · وكان هذا الكرسيّ بعد اعتزال غريغوريوس الثاولوغي ووفاة نكتاريوس خلفهِ اصبح ألعوبةً بايدي المبتدعين لا يطلبون منه الَّا الارباح الخسيسة والمطامع الشخصيَّة فرأى الملك وخاصَّتهُ انَّ ذلك المنصب لا يعود الى شرفهِ وعزّهِ ما لم يُدعَ اليهِ راعٍ صالح كامل الصفات قادر على

تذليل الصاعب كيوحنا فم الذهب وما كاد يتلفظ باسمه حتى صرخ الجميع بصوت واحد انه «اهل لهذا المقام ليس مثله راعياً تكنيسة القسطنطينية» فارسل الملك من وقته الى عامله في انطاكية ان يوفده الى العاصمة. لكنّ البطريق فكتور رأى دون انجاز امر سيده خرق القتاد اذ كان يعلم ما تكنّه قلوب الانطاكيين من عواطف الحب والاخلاص نحو يوحنا فلم يجد طريقة اخرى ليقوم بامر الملك وينجو من ثورة الاهلين سوى الاحتيال فاستدعى يوحنا يوماً الى زيارة قبور الشهداء في ظهراني المدينة خارجاً عن اسوارها فلبّى دعوته وهو لا يعلم ما كن له. فما تجاوز القديس باب المدينة حتى حمله بعض الخدم في عجلة مهيأة لذلك واخذوه شاء ام أبى الى ساحل البحر واركبوه سفينة أبحرت من وقتها الى القسطنطينية

حدّث ولا حرج عمّا جرى ليوحنا من الاستقبال الباهر وما أُقيم من الحفلات الشائقة لتنصيبه بطريركاً على رومية الجديدة. امّا اهل انطاكية فاصابهم بفقده من الالم ما لا يفي به وصف القلم وانّما تعزّوا قليلاً لما نال وطنيهم من الحظوى لدى اركاديوس واركان الدولة في حاضرة كانت تعدّ مذ ذاك الحين احدى أمهات المدن وعجائب الدنيا

قبض يوحنا زمام التدبير لرعيته بنشاط عظيم متكلاً ليس على نفسه بل على الله الذي دعاه الى تلك الرتبة السامية مع أنفته من المناصب الرفيعة والجاه العالي وجعل نصب عينيه قول الرسول بطرس (في رسالته الاولى ٥: ٣) انه ينبغي على الاسقف ان يكون مثالاً لرعيته. بل اراد ان يحيي في نفسه صورة الاسقف الكامل كما وصفها بولس الرسول في رسالته الى تيموثاوس الاولى (٣: ١–٧) وفي رسالته الى تيطس (٥: ٦–١٠) بان يكون «بلا عيب عاقلاً مهذباً غير مُعجب بنفسه ولا سريع الغضب ولا ذي حرص على المكسب الخسيس بل مضيفاً للغرباء محباً للخير عادلاً تقياً عفيفاً ملازماً الكلام الصادق قادراً على التعليم» فهذا كلّه قد مارسه يوحنا في مقامه الخطيرة على تمامه لم يخلّ فيه بحرف

وقد ابتدأ باصلاح داره الاسقفية مباشراً بنفسه فكنت تراه يعيش عيشة افقر الرعاة يلبس بزّة حقيرة ويستنكف من كل فخفخة وعظمة وترف جارياً على موجب سيرته القشفة التي سلكها مدة كهنوته في انطاكية. وكان مثاله مؤثراً في حاشيته الذين اتخذوا اتخذه واتّسموا بسيماه في كلّ احوالهم. وقد أدى به هذا الاقتصاد في

النفقات الى ان وفّر كنوز الكنيسة التي كان يعدّها كاموال الله وكنوز الفقراء.

والحق يقال انهُ اعتبر ذوي البأساء والساكين والعجزة والمرضى كأعزّ اصدقائهِ فشرع يفيض عليهم سوابغ هباتهِ ممّا اقتصدهُ على نفسهِ واهل بطانتهِ وكان لا يكتفي بذلك بل يزور المتكوبين في منازلهم ويعول الايتام والارامل ويعود المرضى في المستشفيات فلا يحلّ في مكان الّا كملاك الله يترك فيهِ اثرًا من فضلهِ

ثمّ صرف عنايتهُ الى اكليروس كنيستهِ وجميع بطريركيّتهِ الواسعة فتذرّع بكل الوسائل من لطف وتحريض وزجر وعقاب وكان يكفّ عن الكتابة والكلام او يدعوي الضالّون فيوفّقوا سيرتهم وملابسهم ومآكلهم واعمالهم على مقتضى القوانين الرسوليّة وترتيبات الجامع ولا يخلّوا بشيء من واجبات خدمتهم . وكان يعلم انَّ صدق قولهِ واستقامة خطتهِ لا ترضي كثيرين ممن استهواهم شيطان الاهواء وخدعهم روح الدنيا وزخرفها الّا انهُ لم يتوقّف لذلك عن القيام باعباء مهنتهِ مفوّضًا بامرهِ الى الله متخذًا لمداواة الاعلّاء انجع الوسائل واصلحها لا يبالي بهيجان العليل على طبيبهِ المحسن اليهِ

ومع ما أفرغ من الوسع في تهذيب رجال الدين جعل ايضًا يهتمّ بالعالميّين ليصلح آدابهم ويقتلع من قلوبهم زؤان الرذائل التي كانت عشّشت في صدور بعضهم فاستغوتهم وحادت بهم عن سواء السبيل

وكان بينهم رجال من وجوه القوم والاغنياء وذوي المراتب العليا وكان يوحنا لا يأنف من تحريضهم وتوبيخهم عند الحاجة لا يأخذ بوجه احد ولا يضحّي الواجب لغاية بشريّة مع ما كان يتفاقم عليهِ كل يوم من تدبير الامور ومن الاهتمام بالكنائس بل كان يستطيع ان يقول مع الرسول (٢ كورنتس ١١ : ٢٩) : « من يضعف ولا اضعف انا او من يُشكّك ولا احترق انا » . فكانت دعوته الابويّة ومواعظه الرعويّة تدوي في قلوب الخطأة فتُلينها وتبدّد ظُلماتها وتعيدها الى ذلك الراعي الصالح فتتوب على يدهِ توبةً نصوحًا وتجري على نصائحهِ الخلاصيّة

وكأنّ الله اراد ان يضمّ صوتهُ السماوي الى صوت وليّهِ لردّ بعض المصرّين على آثامهم الى التوبة فحدثت في القسطنطينيّة عدّة مصائب ونكبات كادت تنخلع لها قلوب السكان هلعًا منها زلزال عظيم مادت لهُ الارض وهبطت بهِ عدّة مساكن ومنها اعاصير وانواء طغت بها المياه واندفقت في احياء المدينة كالسيول ومنها المجاعة مُني بها

الوف من الاهلين وكان القديس مع تفانيه في إسعاف المنكوبين يتّخذ كل هذه البلايا كعوامل لردّ الضالين وتوبيب الخاطئين وهداية الهراطقة الذين ارجع منهم عدداً وافراً الى حجر الكنيسة

وزاد الله على ذلك أن منح عبده صنع المعجزات والكرامات كشفاء المرضى والعلم بالغيب وقد اخبر المؤرخ سوزومان انّ امرأة شرّيرة ارادت ان تنتهك حرمة القربان الاقدس فحوّل الله الخبز الذي ابدلته منهُ الى حجرٍ لصق بفيها فلم ترَ مناصاً من الاقرار بخطيئتها فباءت بإثمها ثم اخرج القديس الحجر من حنجرتها على مرأى من الشعب

لكنّ رجل الله لم يكتفِ بحسم الفساد من رعيّتهِ وكسر شوكة الرذائل بل عُني ايضاً برفع لواء الفضيلة وتعزيز روح الدين وتنشيط كل المشروعات الخيريّة من تربية الايتام واسعاف المعوزين والاخذ بايدي البائسين. وكان يحضّ المؤمنين على مواترة الاسرار المقدّسة وملازمة اعمال التُّقى

وما كانت غيرتهُ منحصرة في حدود العاصمة بل كان يستغرق وسعهُ في اصلاح الاقاليم الثمانية والعشرين المنوطة بكرسي القسطنطينيّة. وكان اذا دعا الامر الى ذلك لا يتردّد في تجشّم الاسفار واقتحام الاخطار لاستدراك الخلل الطارئ على تلك الكنائس كما فعل لمّا خرج الى افسس وعقد فيها مجمعاً لاصلاح شؤونها الروحيّة ثمّ عاد الى كرسيّهِ بعد جمع الشتات وتلافي الشرّ

وكان القديس يوجه نظرهُ الى ما وراء تخوم بطريركيّتهِ اذا رأى موجباً للعمل فانهُ كان يعلم بانّ بعض جهات سوريّة لا تزال متسكعة في ظلمة الوثنيّة فارسل الى اهلها مرسلين ينشرون التعاليم المسيحيّة واستنفد الوسع في هدم هياكل الاصنام التي كانت في فينيقية ولبنان فأُخربت ورجع المشركون الى جادّة الحقّ

وممّا امتاز بهِ يوحنا مدّة رعايتهِ شهامة عظيمة جعلتهُ يضحّي النفس والنفيس في سبيل الله والذبّ عن حقوق الكنيسة حتى بازاء الاعيان والاشراف. ولمّا رأى الامبراطورة افدكسيا لا ترعى ذماماً للضعفاء لم يخفْ أن يُطالبها باداء الواجبات لتعطي لكل ذي حقٍّ حقّهُ. فاوغرت تلك البسالة صدور اعدائهِ وكانت السبب الاقوى لما حلّ بهِ من الشدائد التي أودت بحياتهِ

رجل العلم

هذه لمة عن بعض اعمال يوحنا فم الذهب ألمنا اليها إلماماً خفيفاً لئلا نتجاوز الحدود التي يقتضيها المقام ألا ان تلك الاعمال الخطيرة قد عضدها ذلك الحبر الهمام بالعلم الواسع قياماً بامر الربّ القائل (ملاخي ٢ : ٧) : « ان شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيه يطلبون الشريعة اذ هو ملاك ربّ الجنود » ووفقاً لقول السيد المسيح السابق ذكره (متى ٥ : ١٩) ان العظيم في ملكوت السماوات هو الذي يضيف التعليم الى عمله . وذلك امرٌ يصح في كل الكهنة لكنّهُ في الاساقفة أصدق وأحق لأنّ « الروح القدس اقامهم ليرعوا كنيسة الله التي اقتداها بدمهِ » (اعمال ٢٠ : ٢٨) فيرشدون المؤمنين ويصدّون بهم عن التعاليم الفاسدة ومن ثمّ يحتم الرسول على الاسقف ان يكون قادراً على التعليم (تيموثاوس ٢ : ٢) وملازماً الكلام الصادق المختصّ بالقول لكي يقدر ان يعظ بالتعليم الصحيح ويحاجّ المنافقين (تيطس ١ : ٦) فكلّ ذلك كان القديس يوحنا قد ادركه احسن ادراك وبناء عليه كان وطّن نفسهُ منذ شبابهِ على كل علوم زمانهِ الدينيّة والدنيويّة

وقد تدفّقت منهُ ينابيع العلم اذ كان بعدُ في انطاكية حتى قبل كهنوتهِ . فمن اعمالهِ الناطقة بفضلهِ تأليفهُ العجيب في الكهنوت الذي لا يزال الى يومنا أصدق مرآة لسيرة الكهنة وسموّ رتبتهم . وقد عقّب هذه باكورة اعمالهِ بمصنّف آخر جليل وضعهُ في اطراء الزهد والحياة الرهبانيّة لمّا كان في جبال انطاكية في مناسك سيّاحها المتألهين بالروح العائشين كالملائكة متقمّصين بالجسد

ولما اضطرّهُ المرض الى أن يعود الى انطاكية فعُهد اليهِ كشمّاس اوّلاً ثمّ ككاهن تعليم الشعب وتسنّم المنابر لالقاء الوعظ خاض القديس في ميدان جديد كان هو افرس فرسانهِ فنال فيهِ قصبات السبق على كل معاصريهِ . فكنت تراهُ اذا رقي منبر الخطابة ازدحمت حولهُ الجموع تتلقّى من فيهِ تعاليم الخلاص برغبةٍ لا مثيل لها فتارةً يجمدون امامهُ كأنّ على رؤوسهم الطير لئلّا يفوتهم من شفتيهِ كلمة وتارة يضطربون لقولهِ اضطراب البحر العجاج فينقادون الى كل حركات قلبهِ من أسف على خطاياهم وتوبة الى الله وشوق الى الصلاح وبغض لاهواء العالم وملاذّهِ ورحمةٍ لذوي البأساء والمساكين وربما كان الحضور يجهشون بالبكاء فيبلون العبرات السخينة على آثامهم السابقة ويخرجون من الكنيسة كرجال جددٍ مودّعين لعاداتهم السيّئة ليبشروا لله

ومما زاد ذلك النور توهجاً ان يوحنا وُجد في انطاكية في ظروف استدعت انتشار اشعته في كل النواحي. فهناك كانت الفلاسفة الوثنيون الذين ورثوا من ائمة اليونان آدابهم. وهناك كان علماء اليهود لاتساع متاجر قومهم في انطاكية. وهناك توفرت البدع ورسخ قدم اصحابها كشايعي مرقيون واريوس وانصار مقدونيوس وحزب اونوميوس. فقام يوحنا فم الذهب بازاء تلك الاديان والشيع «مستعداً في كل حين للاحتجاج لكل من يسألهُ حُجج الرجاء الذي فيه» (١ بطرس ٣: ١٥) فكان يوضح للجميع حقيقة الدين المسيحي ويفكّ المشاكل التي تُعرَض عليهِ ويبيّن اوهام المبتدعين وقد ابقى من سموّ بلاغتهِ وطلاوة لسانهِ وقوة برهانهِ آثاراً عديدة في كل ما سبق ايرادهُ صبرت على آفات الزمان وهي لم تفقد حتى يومنا هذا شيئاً من محاسنها فتراهُ يدكّ الاوهام الى الحضيض ويقوّض الاقاويل السفسطيَّة ويبني الحقيقة على صرح شاهق ذي اساس لا يتزعزع

واكثر ما اكسبهُ ذلك اللقب الشريف الذي عُرف بهِ اي الذهبيّ الفم خُطَبهُ التي القاها بعد ثورة انطاكية اذ كان يتهدَّد وطنهُ غضبُ الامبراطور فتمكّن القديس مدةَ ايام متوالية من جمع مواطنيهِ في الكنيسة الكبرى فسحرهم بسحر بلاغتهِ الحلال وانعش في قلوبهم الثقة وفتح صدورهم للرجاء وصرف نظرهم الى آمال الآخرة وعقابها الاليم. وقد تحقق اليوم لدى العلماء انَّ الخطبة التي القاها فلابيانوس على مسامع الامبراطور ثاوضوسيوس فاخمد بها غضبهُ انما كانت من قلم يوحنا فم الذهب يدلّ على ذلك انشاؤها وبلاغتها

على انَّ علم القديس يوحنا فم الذهب لاح على مشهد الارض كلها لما سُقّف على القسطنطينيَّة فاضحى ثَمَّ كالسراج الوهّاج المرتفع على جبل فاستضاء بهِ العالم الروماني بأسرهِ. وكان هناك لا ينطق بخطبة الّا يتردَّد صداها في اقاصي المملكة لارتياح اهل الاقاليم الى ما يقولهُ ارباب العاصمة ولما اصابهُ يوحنا من الشهرة المستفيضة تتناقلها الالسنة من الداني الى القاصي

ومن آثارهِ في ذلك المنصب الشريف خطب عديدة في كل معتقدات الدين المسيحي كان يلقيها في ايام الاعياد والآحاد فيتقاطر الى استماعهِ نخبة اعيان البلد فتغص بهم الكنيسة الكاتدرائية. ومنها شروح وتفاسير على معظم كتب الاسفار المقدسة كان

ينطق بها في الحفلات الدينيّة فيكشف معاني الكتاب العويصة ويلحقها بتعاليم ادبيَّة يستخلصها من نفس الفصول المشروحة فيجمع بين تنقيه العقل وحث الارادة على الخير. وامتازت بين شروحه المقالات التي كتبها في تفسير الاناجيل لاسيا انجيل متى وفي شرح الرسائل البولسيّة. وقد اثبت بعض اصحاب القديس أنهم شاهدوا غير مرَّة بولس الرسول منحنياً فوق رأسهِ كأنهُ يُملي عليه تفسير رسائلهِ ويفكّ لهُ رموزها

وكثيرًا ما كان القديس يُلقي خطبهُ ارتجالًا اذا ما مسَّت الحاجة الى ذلك فكان كلامهُ البليغ يخرج من قلبهِ في قالب من الحسن والمتانة يسبي العقول ويسترقها حتَّى ان الحضور كانوا يهيجون ويصفّقون له استحساناً وان منعهم الخطيب عن ذلك غير مرَّة. فمن هذه الخطب خطبتهُ في نكبة اوتروب الخصي وخطبةٌ في اسعاف الفقراء والبائسين لا يقرؤها الّا يستنزف عبرات السامعين ويستمطر من خزائنهم كنوز المبرّات والصدقات الغزيرة التي اعانتهُ على فتح مآوى ومستشفيات خصّ بخدمتها سيّدات شريفات كنّ يساعدنهُ في مشروعاتهِ الخيريّة

ولا نتعرّض هنا لذكر مصنَّفات اخرى جليلة كتبها يوحنا مدّة بطريركيّتهِ كما أنّنا نضرب الصفح عن رسائل متعدّدة كان ينفذها الى مرؤوسيهِ واصدقائهِ ومنها ما هو بمثابة مجلّدات واسعة. فان جدول كتاباتهِ وحدهُ يستغرق عدّة صفحات

فترى مما سبق انَّ الذهبيّ الفم حقّق في نفسهِ ما قالهُ الربّ عن يوحنا الصابغ سميّهِ (يوحنا ٥ : ٣٥) انهُ كان هو السراج الموقد المنير فابتهج بنورهِ اهل القسطنطينيّة. لكنّ ذلك السراج كان لبعض الحسّاد والمعادين بمنزلة النور الباهر الذي لا يستطيع ان ينظر اليهِ العُمْشي ومرضى العيون دون ان يتأذوا بهِ وكان هولاء في اوّل امرهم مستخفين لا يبدون حراكاً لكنّهم كانوا يعدّون في الخفية الدسائس لبطريرك القسطنطينيّة ليعدوهُ عن كرسيّهِ حتى اذا سنحت الفرصة جاهروا لهُ بالعداوة

وقد شاء الله ان يمنح عبدهُ جزاء غيرتهِ واعمالهِ فاتاح لهُ ان يكابد الشدائد في اتمام واجبات رتبتهِ والذود عن حقوق الكنيسة لينال الطوبى التي وعد بها الربّ المضطهدين في سبيل البرّ (متى ٥ : ١١) فاجتمعت عليهِ كل قوى الجحيم وتحاملت عليه اعداؤهُ حتَّى كادوا يسحقونهُ سحقاً وكان من جملة هولاء الاعداء بطاركة واساقفة. فجمعوا مجمعاً حكموا عليهِ ظلماً وعزلوهُ عن مقامهِ فلم يجد القديس لهُ ملجأً غير الكنيسة الرومانيّة

أمّ الكنائس فرفع اليها دعواهُ لعلمهِ بأن صاحب الكرسي الروماني هو امام الاحبار لهُ الحلّ والعقد على الكنيسة كلها اذ هو نائب السيّد المسيح وخلف بطرس الرسول ليس حكم فوق حكمهِ (١. وكان الجالس على كرسي رومية حينئذ القديس اينوكنت الاوّل فلم يُخيِّب مسعاهُ بل اخذ للوقت بناصر يوحنا وابطل اعمال المجمع المعقود ضدّهُ على خلاف القوانين وامر باعادة القديس الى مقامهِ وكتب في ذلك الى الامبراطور اركاديوس يتهدّدهُ بالحرم ان لم يفعل ولا ريب انهُ كان فاز برغبتهِ لولا وفاة يوحنا

وكان القديس بعد حكم المجمع القسطنطيني أُبعد مرّة أُولى عن كرسيهِ الّا انهُ حدثت عند ابعادهِ آيات وحلّت على اعدائهِ مصائب لم يروا النجاة منها الّا باعادة يوحنا الى كرسيهِ مكرّماً مبجلاً

لكنّ سخيمة الاشرار لا تُسَلّ من قلوبهم حتى يُهلكوا عدوّهم ويعوّدوا بموتهِ غليلهم فانّ اعداء يوحنا رصدوا لهُ الشرّ وما لبثوا ان وجدوا في صدق لهجتهِ وفي تأهّب غيرتهِ لرفع لواء الدين داعياً جديداً لمعاكسته فتواثبوا عليه كالذئاب الخاطفة على الحمل الوديع وتمكّنوا ثانية من نفيهِ فنُفي سنة ٤٠٤ الى جهات القبادوق ثمّ أُقصي الى بلاد سحيقة فقاسى من الآلام امرّها ومن الاوجاع اشدّها واحرّها وهو مع ذلك يبدي من الثبات والبسالة ما جعلهُ اشبه براعي الرعاة الذي بذل حياتهُ دون خرافهِ

وكانت خاتمة تلك الحياة الصالحة انّ القديس مات في مدينة كومانة بعد ان قوّاه الله في آخرتهِ برؤيا الشهيد باسيليكس الذي بشّرهُ بالنصر القريب. فانتقل الى دار البقاء في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧. وكانت وفاتهُ بمثابة حبّة الحنطة التي قال عنها الربّ انها اذا سقطت في الارض وماتت اتت بثمر كثير. فكذلك موت يوحنا الذهبيّ الفم كان كنوز باهر فانّ اهل كومانة والبلاد المجاورة الذين كان القديس انارهم بنور الحقّ قبل وفاتهِ اقاموا لهُ مأتماً حافلاً وجعلوا يكرّمون قبرهُ إكرامهم لاعظم اولياء الله ثم انتشر خبر موتهِ في المملكة فكان لهذا الخبر رنّة اسف شُقّت لها القلوب وما لبثت برارة القديس ان اشتهرت في اعين جميع معاصريهِ فزكّاهُ الكرسي الرسولي تزكيةً تامة وحرم الذين كانوا سبب وفاتهِ مهما كانت رتبتهم بل اقرّ اعداء القديس انفسهم

١) راجع في المشرق (٥ : ٧٦٦ ; ١٢٢) مقالة حضرة الاب اميل ريفو اليسوعي التي عنوانها: القديس يوحنا فم الذهب ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

بمعاملتهم السيئة ليوحنا فباؤوا بإثمهم وكفَّروا عن ذنبهم الّا البعض منهم الذين ماتوا موتاً وحياً وعُوقبوا بعقاب اليم . ثم نُقل جسم القديس من قبره في كومانة الى القسطنطينيَّة بمظاهر جليلة تقاطرت اليها كل سكّان تلك الاصقاع . ثم نُقلت هذه الذخائر الثمينة بعد ردحة من الدهر الى رومية العظمى فجُعلت في كنيسة القديسين بطرس وبولس الڤاتيكانيَّة بجانب ضريحهما دلالةً على وحدة الشرق والغرب في الايمان والرجاء. وكان يوحنا اعظم ساعٍ لهذه الوحدة فلم يشأ الله ان يفرقه في مماته عن هامتي الرُّسل ليكون ضريحهُ ضامناً اكيدًا لرجوع الخراف الضالَّة الى حظيرة المسيح فتصير الرعيَّة واحدة كما الراعي هو واحد

حفلة عرس

في عشائر الشركس (١

عرَّبها بتصرُّف الاديب امين افندي مشحور استاذ الفصاحة في كليَّة القديس يوسف

حدَّث احد المرسلين الكاثوليك قال : بعث اليَّ يوماً وانا في طوقات شيخ احدى عشائر الشركس الضاربة في الضواحي يدعوني لحضور حفلة زواج اخيه . وكانت تربطني واياه روابط الصداقة الحميمة والحب المتبادل . فكرهت ان ارفض دعوتهُ واهمَّتني نفسي لما انا عليهِ من الانقطاع عن العالم فتذكرت ما قالهُ احد مشاهير الكتبة : « لا بد للمرسل في تلك الاصقاع من التحبُّب الى العشائر واكتساب مودَّتها ليتمكن من عمل الخير بينها »

فتذمَّمت وركبت وركب اخ لي في الرهبنة لهُ المام بالطبّ وسرنا في ليلة مقمرة الى عشيرة العروس حيث تبتدئ الافراح وبيننا وبينها مسيرة ست ساعات . وكان فصل الخريف قد بدت تباشيرهُ فحسسنا بقشعريرة البرد ثم ثارت ريح صرصر فالتحفنا بالفراء واخذنا نتنقى في جوف الليل ونتمتَّع على ضوء القمر بمرأى جبال تمتد في سفحها غابات صنوبر علت رؤوسها صفرة الخريف بينما كانت افراسنا تلتهم المفاوز تحت قعقعة سياطنا وتنشب سنابكها في الصخور وتصهل فتردّد الاصداء صهيلها

---

١) اختصرنا هذه النبذة عن مجلَّة الباحث
A. Poidebard : *Une noce tcherkesse*, Etudes, 1907, 20 Novembre.

ولم تكن هذه اول اسفارنا في تلك البقعة ومثل هذه الساعة فكم طفناها على ظهور الجياد نعود مرضى الشركس وجرحاهم . وهم قوم تعوّدوا الحرب دأْبهم شنُّ الغارات وركوب الضوامر واللعب عليها . هاجروا موطنهم القفقاس على اثر حروبهم المتواصلة مع اهل بلادها فأَحلّتهم الدولة العليَّة في بر الاناضول فاقاموا بها محافظين على كل عوائدهم ولبسهم ولغتهم يتشون الهوينا بين مجاوريهم ويدهم على مقبض خناجرهم المحلّاة بالفضة والذهب متنطقين بالمسدسات وعلى رؤُوسهم قلنسوات من الصوف الاسود وعلى جباههم تلوح سمة البسالة والنبل اما شيخ تلك العشيرة فهو شاب في مقتبل العمر نزِه شريف حاذق وقومهُ الّا يبرح صديقًا للمرسلين الكاثوليك رغمًا عن اختلاف الجنسيَّة لما لقي من تفانيهم وصدق حبهم . فلم انشأ يردّي لدعوة القوم تنغيص فرحهم سيأ وانهم يعدون حضورنا زيادة شرف للعشيرة كلها

ولما بدت طلائع الفجر اشرفنا على القرية واذا هي غارقة في سكون تام . ولم نرَ الّا بعض نساء خرجنَ يستقين فتنحينا الى جانب القرية وطرقنا بيتًا منفردًا لنكون بمعزل عن حلبة الافراح نراقب الحفلة ولا نكون منها فاترلنا رب البيت على الرحب والسعة . ولا شيء عندهم ارفع من الضيافة واخبرني انَّ صديقي اخا العريس أَتى منذ ثلاثة ايام مع ثلاثين من فرسان عشيرته ليسيروا في موكب العروس ويقيموا الالعاب والافراح المعتادة

وما عتمت القرية ان انبعثت من رقادها ودبّت الحركة والحياة بها فاخذت الات الطرب تعزف على ايقاع واحد ونغمة بسيطة يتخللها بعد طلقات بارود وتصفيق وتهليل

ولما ذاع خبر وصولنا تقاطرت الينا المرضى والجرحى زرافات زرافات فابتدأنا بهم عملًا بالواجب . ثمَّ استدعيت صديقًا لي قديمًا اسمهُ اسمعيل اغا فاسررتُ اليهِ : اني اتيت بوسادة مطرَّزة وبندقيَّة للصيد بصفة الهدية فتهلّل فرحًا وقال : احسنت كل الاحسان فتلك عادة رؤساء العشائر ان تحمل هدية دلالة على رضاها وهم يحلّونها محلّ الاعتبار . فقر رأي الرؤساء على اقامة سباق خيل تعطى الوسادة للسابق . اما البندقيَّة فتهدى الى العريس

وما كان الّا هنيهة حتى انتشر خبر الهدية وكان القوم مجتمعين في الساحة يلعبون

بالسؤال على ابي العروس ليزوّج ابنتهُ شيخهم وهو يتظاهر بالرفض واذا بإسمعيل قد طلع عليهم فصاح: سماعٍ يا قوم اتانا حضرة الاب بهديَّةٍ سنيَّة. فاكبروها وتقدَّم عميدهم الى الوسط ورمى بقلنسوتهِ الى الجو علامة طربهِ وانقطع لهذا النبإ محادلات القوم واذعن ابو العروس للطلب

وعند اصيل النهار ابتدأت الالعاب فعلونا شرفة دار تطلّ على الحلبة ومكثنا ساعتين نتمتع بمناظر ومشاهد والعاب تحيّر العقول خفَّةً ولباقة وظرفًا. وكانت منازل القرية متفرقة تمتدّ في سفح جبل عالٍ وامامها سهول واسعة تنتهي الى نهر هو بمثابة حاجز طبيعي لتقمص عليه الفرسان في السباق

فامتطى للحال عشرون من الشبّان صهوات خيولهم وتقدَّمهم فارس بيدهِ علم فلكز جوادهُ وسار كالبرق الخاطف وتبعهُ الفرسان حتى وصلوا الى اكمة تشرف على النهر فانحدروا والحصى تتطاير وتتدحرج وسنابك الخيل تزلق حتى خلنا انهم ساقطون في النهر ووجف لمنظرهم القلب فلم نرَ الّا وقد صعدوا على الضفة المقابلة وعادوا الى اللاحقة والسباق

ثم عقب ذلك العاب فكان الفارس منهم يتمسك بالسرج باليد الواحدة وينقلب فيغير بفرسهِ ورأسهِ مرتفع فويق الارض ورجلاهُ في الهواء. وكان الآخر يسير شوطاً بعيداً على جناح السرعة وهو منتصب على ظهر فرسهِ او يضع رجلاً في الركاب ويلوي الاخرى خارجاً ويجري كانهُ جالس على مقعد في الارض لا يهتز ولا يضطرب. ورأينا من لباقتهم ورشاقتهم عجباً فانهم كانوا يمرُّون مرور السهم على متون جيادهم فاذا بهم قد انحنوا الى الارض وتلقفوا بَيضاً وُضع على الحضيض ومنهم من كان يُطير البيض شعاعاً برصاصة من مسدساتهم. ونظرت شابين ركضا حتى تحاذيا فحاول الواحد اقتلاع الآخر من سرجهِ واذ لم يفلح تأخر عنهُ فقبض على ذنب حصانهِ عند اصله حتى تمكّن منهُ فغمزه بشدَّةٍ ومهارة عجيبة فلوى الحصان والفارس معاً وقذف بهما الى مسافة بضعة امتار الى الوراء رغماً عن سرعتهما

ولما تعب الفرسان خلفهم الاولاد فركبوا الخيل ودفعوها في الميدان يتسابقون ويلوون اعنتها بخفَّة كيفما شاؤوا وارجلهم خارج الركابات لقصرها. وكان بجانبي أحد المشايخ

فابديت له تعجبي فقال: عند ما يبلغ الصبي الرشد عندنا نُركبه فرساً جموحاً فيتشبث به والفرس يطفر ويقمز ويركض محاولاً طرح الفتى عن ظهره . وتداوم على ذلك مدةً وبين الف صبي لا يُقتل اثنان فلا يبلغ الفتى العاشرة الّا وهو فارس خيّال

وعند المساء اجتمع المدعوون واصطفّوا على شبه دائرة وابتدأت حفلة الرقص . فوقف الشبان من جهة والفتيات من جهة مرتديات بثياب ضافية مطرقات الى الارض ادباً فاشار متقدّم الحفلة الى فتاة فضربت على القيثارة لحناً شركسيّاً شجيّاً ثم تقدمت اخرى الى الوسط واخذت تتنقّل في الساحة كانها لا تطأ الثرى وجسمها منتصب لا يهتز وهي تأتي بحركات لطيفة ادبية بذراعيها فقط فدارت حول القوم . والرقص عندهم ان تسير الفتاة بلا اضطراب ولا انزعاج « كما يسيل الماء » وعيناها مطرقتان الى الارض لا ترفعهما ابدًا . امّا الفتى فيرفع الرأس بانفة وحمية ويحرك الذراع الواحدة ويسند الاخرى تارةً على مقبض خنجره وطوراً على خاصرته . فيتابع الراقصان ويمشيان القهقرى ويقتربان دون ان يمسّ بعضهما بعضاً . ثم فينضمّ اليهما زوج آخر يفعل فعلهما

وبينا الموسيقى تتابع نغماتها الشجية الرخيمة على ايقاع التصفيق وحركات الراقصين سُمع بغتةً طلق ناري دوى له البيت وتبعهُ تهليل وصيحات . فنظرنا واذا برئيس الحفلة انتهز فرصة مرور احدى الراقصات امامه فاطلق رصاصة امام وجهها . وهي عادة عندهم وربّما اطلقها بين ارجلها فلا تضطرب الفتاة ولا ترفع الحاظها ولا تحرّك جفونها وقد أُخبرت انّ فتاةً جُرحت يوماً في رجلها بلا تعمّد فصبرت على الالم وكمّلت الرقص حتى سال الدم ورآهُ الحاضرون فاثنوا على جلدها واحتملوها خارجاً . وهكذا تتعود النساء رأي الدماء ومعاناة الشدائد والحرب فيصبحنّ وهنّ اشد بأساً من الرجال

ولمّا انفرط عقد المجلس وارفضّ الجمع المحتشد آب كلٌّ الى مضجعه ونام والاحلام والاشباح تتزاحم في مخيلته

اصطبحنا في الغداة نداوي الجرحى والمرضى مدة بضع ساعات حتى كان الظهر فأُخبرنا ان الموكب اوشك ان يسير لمرافقة العروس فصعدنا على الشرفة المعهودة فرأينا عجلتها عند باب البيت يزينها وشاح ابيض مزركش وحولها كوكبة من الفرسان يتحدّثون بجلبة على متون جيادهم . فخرجت العروس وركبت مع رفيقاتها العجلة

فسارت بهن على نغم الموسيقى ثم عادت ثلاثاً امام باب الدار لتودّع الفتاة مرّة اخيرة بيت ابيها. ثم اخذت الجيل تتابع الجادة رويداً رويداً فما قطعت شوطاً قصيراً حتى برز امامها رهط من رجال مشيتها متسلحين بقضبان طوال فانصبّوا على الموكب يضربونه قاصدين ايقافه ومنع عجلة العروس من المرور فاندفعت واندفع الفرسان تحت الضرب وقد احنوا ظهورهم حتى جاوزوا القوم ثم توقفوا عند مدخل القرية وصاح اهل المشيرة: لن تمرّوا ان لم تكسروا البيض الموضوع على الارض. فاطلق فرسان عشيرة العروس لجيلهم الاعنة وصوّبوا مسدساتهم الى البيض فاطاروها في الهواء.

وطلع بعدها الموكب الى السهل وامتدّ في انحائه ترفّ فوقه اجنحة السرور والبهجة. والعادة عندهم ان يثأر اهل العروس ممن يأخذونها وذلك بسلبهم قلنسواتهم فكنت تراهم يتحابون ويتسابقون في الميدان لاختطافها ونظرت فارساً استلب قلنسوة بعضهم فطاردته اربعة من الفرسان فدار حول القرية واخذ يجوب تلك الوهاد والآكام تارة يصعد واخرى ينحدر والجنادل تتطاير تحت سنابك جيادهم. ولم تكن ساعة حتى ادركه فارس واوشك ان يختطفه من السرج فاذا به قد انقلب وحصانه على الحضيض فضجّ الجميع استحساناً وهلّلوا للغالب. اما المغلوب فقفز بخفّة واستوى على ظهر حصانه دون ان يصاب بأذى. فركبنا عندئذ نحن ايضاً وسرنا بمعزل عن الموكب نراقب كل ما يجري ولا نشارك القوم وبعد ساعة اراد اهل العروس الرجوع الى قريتهم فتطلبوا من قبيلة العريس ناقة اخرى فاخذوا منديل العروس والقوه ووضعوه على الارض فركض فارس واطلق رصاصتين فخرق المنديل فحقق فصاح الكل: عافاك الله وتوجّلوا فتودعوا وتصافحوا وعاد فرسان العروس الى منازلهم

بعد الفراق سكنت الضجة وخفّت الالعاب والحركات فتقدمت العجلة والموكب وانضم شمل الفرسان فانتهاهم وسرنا بينهم نتحدث بهدوء وسكينة وكنّا قد اشرفنا على قمة الجبل الفاصل بين المشيرتين فرأينا الاولى اوشكت ان تغيب تحت جناح العتمة والثانية انفرجت من بين الادغال كلما اقتربنا منها بانت لنا بيوتها المتفرقة كأنها قطع حجارة مشكوكة بين الخضرة والاشجار ودوى في الجبال صوت طلقات البارود وسمعنا آخر غوغاء التهليل من بعيد ولم يعد لنا سوى ان ننحدر من قمة الجبل الى سفحه لنحلّ في نادي العريس. وكانت الشمس قد مالت للمغيب فاصفرّت رؤوس الاحراج وامست

قطع الغمام الشاردة في كبد السماء تخللها خطوط حمراء كدنة اللون ولم يُسمع الآخرير ماء يجري هناك على نغم واحد بمقامة وقع حوافر الخيل وصهيلها · حينئذٍ طرق اذاننا غناء رخيم شجيّ شقّ الصدور وارتفع في اول ظلمة الليل فشنّف برقته المسامع وقد جاشت بقلوب هؤلاء الفرسان التذكارات ومرّ بخاطرهم ايامهم السالفة في القفقاس مسقط رأسهم فحيّوها من بعيد

ايا ربوع الوطن	ايا ربوع الوطن
ليس حياة وهنا	ليس سرور ههنا
نبكي دماً أعيننا	على ربوع الوطن

وعندما حطّ الموكب عند مدخل القرية استقبله احد المشايخ وطلب من الفرسان تأنّةً لادخال العروس في عشيرتها الجديدة · واضطروهم ايضاً الى ان يكسروا بيضاً موضوعاً على الحضيض بالرصاص · ثم اطلقوا اعنّة الخيل حتى ادركوا بيت العريس وعليه اعلام الزينة تخفق فخرجت اليهم ام العريس وقالت: لمَ اتيتم وما تريدون منّا فلا حاجة لنا بكم · ثم أغلقت الباب فاندفع ستة فرسان وأوثبوا خيلهم فوق صوان الدار فاحتلّوا صحنها وسُمع من داخل طلقات رصاص متتابعة وصراخ · حينئذٍ رأينا رئيس الحفلة ركب قربوس حصانه واسرع الى الباب فنطحهُ جوادهُ براسهِ ففتحهُ ودخل فصاحت بهِ الأم ثانية ما تريد منا فاجاب: اتيناكِ بعروس لابنك · فقالت: لا بأس · انما لا اقبلها ان لم يؤدِّ ابني البكر عن اخيهِ العريس اجازة المرور ثم عادت هي واهل بيتها فصفّت على الحضيض امام الدار بيضاً يكسرهُ الداخلون باطلاق الرصاص

لكنّ جواد مقدّم العشيرة ابى ان يطاوع صاحبه تعباً ووهناً فلم يتمكّن الامير من كسر البيض ضرباً بالرصاص الا بعد شق النفس · حينئذٍ سلّمت ام العريس لرئيس الحفلة قضيباً لفّت عليهِ النقد الجميلة · واخذت ترمي الى القوم ملبساً وحلويات تشير الى رضاها بالعروس الجديدة في بيتها

فترجل الجميع ودخلوا البيت وابتدأوا بالرقص ثانية توقعهُ آلآت الطرب وتصفيق الايدي وغناء لحن شجي رقيق يرددون بهِ حيناً بعد حين لازمةً عن لسان الفتاة تدعى « شكوى العروس »

يا والدتي يا ماخوتي	قد سرتُ نحو الغربة

يا ما امرّ وحشتي من بعدكم احبتي

كم حلوٍ ونجيبٍ عند ابي السرقةِ
فيا قساة المهجةِ خلوا سبيل الابنةِ

اسير الى عشيرتي ومنزلي ورَوضتي
اسير الى والدتي ووالدي واخوتي

هذا وقد وفدت سكان القرى المجاورة للعرس فكنت ترى بين الشركس قوماً من الروم والتركمان كل بلبسهِ وزيّهِ المختصّ بهِ. فحضرنا الى قاعة الاستقبال فسلّمنا على القوم ثم تركناهم وعدنا الى غرفة منفردة اعدّها لنا رئيس العرس في طرف الرواق تلطفاً بنا واحتراماً لعوائدنا وآدابنا. وللغرفة باب يؤدي الى الجنينة نخرج اليها كلما شئنا. وكان على الباب عبدٌ شاكي السلاح لا يُدخل علينا الّا الاخصاء من الاصحاب والاصدقاء. وقد هرعوا للسلام علينا والترحيب بنا متذكرين ما بذلناه ولم نزل نبذله في سبيلهم من التفاني وهم يعدّون حضورنا بين ظهرانيهم في تلك الظروف شرفاً لهم. فكنت تراهم يفدون وحداناً وزرافات ووجوههم باسمة ولسان حالهم يقول: نحن غرباء ههنا ولا احد يتكرم بنا ويحترم عوائدنا الّا انتم. اجل فان بين الشركس وبين جيرانهم تفاوتاً في العادات والازياء والافكار واللغة وخصوصاً في الآداب وهو امر معجب. فاننا في مدة الحفلات لم نسمع كلمة ولم نرَ حركة تخدش جبين العذراء او تأنف منها المخدّرات

ولمّا ارخى الليل جلابيبه الحالكة اوينا الى فراشنا ونحن نسمع مدة بعد اخرى نشيد الشركس الوطني خارجاً من قاعة الرقص يتغلغل بين اشجار الجنينة. فكأن بهِ ارواح ابناء القفقاس ترفّ تحت جناح الظلام وترتفع الى النجوم المتلألئة في كبد السماء.

اللازمة

ايا ربوع الوطنِ انتِ اعزّ مسكنِ
نفديكِ بالارواح حبّاً يا ربوع الوطنِ

ليس حياة وهنّا ليس سرور ههنا
نبكي دماً اعيُننا على ربوع الوطنِ

تقول ابناء الحمى لمّا ارتحلنا ولمّا
لم تغرقوا دونيَ الدما عند كرور المحنِ

انتم اعقاء البنين · حملكم حملُ الجنين
ربيتكم طول السنين · ارضعتكم من لبني

حتى اذا صرتم رجالْ · اشدَّ من اسد الدحالْ
أركبتكم متن الرحال · وغبتمُ عن اعيني

ألا اسمعوا صوت الجدودْ · عظامهم وسط اللحودْ
تئن من هذا الصدودْ · وتشتكي من حزني

هجرتموني للدهورْ · يا قوم ما هذا الغرورْ
اجاز في شرع الضميرْ · ان تكفروا بالمنن

ذنب ثقيل في الذنوبْ · تمقتهُ كل الشعوبْ
ومهجتي كادت تذوبْ · فرحةً للوطنِ

يا وطناً لم ننسكا · يا وطناً لم ننسكا
ارواحنا تبقى لكا · وجسمنا للكفنِ

*

ولما كان صبح اليوم الثاني اخذنا اهبة السفر لمبارحة العشيرة لعدم امكاننا حضور كل الحفلات التي تقام مدة اسبوع كامل فاستدعينا اسمعيل وطلبنا اليهِ ان يحمل هديتنا الى العريس ويانهُ دعاءنا لهُ بالرفاء والبنين . والتمستُ من صديقي الامير ان يتلطف بالسلام على السيدة والدتهِ فاتت ربة البيت بنفسها الينا وجلست تحدثنا ساعة ثم قالت : كيف اعبّر لكما عما شملني من السرور لما أُنبئتُ انكما غادرتما الليل متركيكما لتحضرا حفلاتنا واعيادنا . اجل كنتُ اعدّكما منذ زمن كاخوَيْ اولادي فكان تلطفكما هذا مؤيّداً لحبي ولصدق نيتي وظنوني بكم . وكنت اود ان تحضرا حفلةً لا يحضرها الّا الاخصاء والاقرباء حفلة نشر جهاز العروس . ولكن لا بأس فساُقيم من ينوب عنكما

قالت ثمَّ مدّت يدها فصافحناها كعادة الافرنج وشكرنا لها لطفها وانسها واعدنا لها دعاءنا برفاهيتها وهناء العروسين واستأذنّا بالذهاب فشيعتنا وابنها وبعض الاصدقاء . ثمَّ امتطينا الجياد والشرنا اخر اشارة الوداع وسرنا

وبعد بضعة ايام اتى ديرنا احد الامراء يزهو بالملابس المزركشة شاكي السلاح التام متنطق بالرصاص فاستدعاني فرانيةً في قاعة الاستقبال ورحبت بهِ فقال : دونك ايها الاب الجليل ما يهديكه العروسان من جملة ما اهدياه لاعضاء العائلة

فرأيت بعض قطع حيكت بالقصب وحمائل مسدّس ومحفظة للساعة مع قدّتها ثمّ كيساً للنقود من الجلد الاسود نقشت عليه العروس بيدها تلطفاً صليباً احمر صغيراً . فكان بودّي ان ارفض تلك الهدايا كما هو دأبنا لكني خفتُ ان اجرح حاسّيات القوم فقبلتها شاكراً للطف اصحابها

ولم ازل محافظاً على هذا الكيس كذخيرة ثمينة أودعت بها قلوب تلك العشيرة الشريفة كل ما تحتويه من اللطف والنبل والشهامة

اللغة العربية

في طور النشوء والتكوّن (*

لحضرة الاب انستاس الكرملي

١ً تمهيد

قبل ان نخوض عباب هذا البحث الجليل يحسن بنا ان نعرف شيئين يتعلقان بهذا الموضوع وهما: معنى الطور ومعنى العصر

فالمراد بالطور هنا (وبالفرنسية période) مدّة من الزمان يغلب فيها طوارئ غير طوارئ المدة التي تقدّمتها . يعني انها المدّة التي تختلف حالتها وهيئتها عن حالة وهيئة المدّة التي سبقتها . واماً العصر (وبالفرنساوي époque) فهو المدّة او الدهر الذي يحدث فيه عدّة طوارئ خفيفة الوطء او النتيجة بحيث لا تخرجهُ عن حالتهِ الاصليّة . فاذا عرفنا ذلك نقول :

تُقسم اللغة العربيّة الى اربعة أطوار والى اربعة أعصر فاما الاطوار فهي :

(١ً طور النُّشوء والتكوُّن) وهو الطور الذي نشأت فيه اللغة العربيّة مع اخواتها الساميّات في اصل وضعها من عُنصُر ثنائيّ الحروف ثمّ تدرّج شيئاً فشيئاً فصار ثلاثياً ثمّ رباعياً الخ

(٢ً طور النُّموّ والتلوُّن) وهو طور تبايُن اللغات واللهجات وتفرّعها وتفرّقها

*) ننشر هذه المقالة كما ارسلها حضرة كاتبها دون ان نبدي فيها رأينا تاركين العهدة فيها لصاحبها الفاضل (المشرق)

وتشتتها وتبدُّدها في الديار العربيّة . وفي هذا الطور نشأ القلب والابدال وان كانا قد نشأا سابقًا الّا انها في هذا الطور باتا كل البيان وعمّا قبائل العرب فاصبحا فيهم من خصائص لغتهم . ثم ظهر النحت الرباعي وفي مـا فوقهُ . كما ظهر ايضًا الجمع المكسَّر ولم يكن لهُ وجود في الطور الاول . وهو ايضًا الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلاثة اوجهٍ من الاعراب « كل وجهٍ في قبيلةٍ دون أُخرى » ثم حدث فيـهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلهـا بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها

(٣ً طور الانضمام والتجمُّع) وهو طور عهد الجاهليّة يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الّا ستّ لغات عظمى ترجع اليها سائر لغات ولهجات الديار العربيّة كلها لكونها فروعًا لها . وتلك اللغات العظمى هي : المُسنَد والزَّبور والزرقزة والحويل والرَّشق والمُبين أو الفصيح . واتُّخذت فيهِ الاعراب قاعدة مطَّردة تجري عليها المتكلمون ويتّبع جادَّتها الكلّ أجمعون يعني انهم اتخذوا الضمّ للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجرّ

(٤ً طور الاسلام والتفرُّع) وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمَّت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيـهِ اصطلاحات وعبارات وكلمات كانت مجهولة في سابق الاطوار والعصور وهـذا الطور يُقسم الى اربعة أعصر وهي :

أ . عصر الخلفاء الراشدين والامويين

ب . عصر العبّاسيين المهذّبين

ج . عصر الانحطاط والانحلال

د . عصر النشور والاقتبـال . وهو عصر النهضة والتجدُّد والابلال اي عصرنا في زمان الحال

٣ً طور النشوء والتكوّن

ونحن لا نتعرَّض هنا الّا للطور الاول وهو الطور المعروف ايضًا « بعهـد ظلمات اللغة » لخفاء اغلب احوالها علينا . هذا ونحن لا نطرق هنا باب بحث مجهول وانما نطرق الباب على طريقة مفصلة تفصيلًا واضحًا جليًّا مستشهدين بكلام الائمة من لغويّي العرب

فإذ وعينا كل ذلك نقول: اول ما نشأ من اللغة صوتٌ ثنائي الحرف ساكن الآخر واغلب مجيء الحرفين صحيحان. وان جاء الثاني عليلًا في بعض الاحايين. وهذا الصوت ليس شيئًا آخر سوى حكاية صوت طبيعي كصراخ وجداني او كهبوب الريح وجريان الماء. واصوات الحيوانات الى غير ذلك مما لا يُحصى عدًا. وقد تنبَّه لهذا الامر لغويو العرب في قديم الزمان. فقد جاء في لسان العرب ما هذا نصهُ الجزيل الفوائد والعوائد قال:

«عاجِ عاجِ زجرٌ للناقة. ينوَّن على التنكير ويكسر غير منوَّنٍ على التعريف. قال الازهري: يقال للناقة في الزجر: «عاجِ» بلا تنوين. فان شئت جزمت على توهُّم الوقوف. يُقال: مَجمَجت بالناقة: اذا قلت لها: «عاجِ عاجِ» قال ابو عُبيد: ويقال للناقة: «عاجٍ وجاهٍ» بالتنوين. قال الشاعر:

كأنّيَ لم ازجُر بعاجٍ نجيبةً ولم ألقَ عن شحطٍ خليلًا مصافيا

قال الازهري: قال ابو الهيثم فيما قرأت بخطهِ: «كل صوتٍ تُزجر به الابل فانهُ يخرج مجزومًا [ثنائي الحرف وقد تُمدّ الحركة الاولى لاطالة الصوت فتجعل حرفًا من جنسها] الّا ان يقع [الآخر] في قافيةٍ فيحرك الى الخفض» تقول في زجر البعير: «حَلْ» «حَوْبْ». وفي زجر السبع «هَجْ هَجْ» و «جهْ جهْ» [ويقال بالمدّ] «جاهْ جاهْ» قال: فاذا حكيتَ ذلك قلت للبعير «حوب» او «حوبٍ» وقلت للناقة «حَلْ» او «حلٍ». وانشد:

اقولُ للناقة قولي للجملْ اقول حوبٍ ثم اثنيها بحَلْ

فخفض «حَوْبٍ» ونوَّنهُ عند الحاجة الى تنوينهِ. وقال آخر:

قلت لها حَلٍ فلم تَحلحلِ

وقال آخر: وجملٍ قلتُ لهُ جاهٍ جاهْ يا ويلهُ من جملٍ ما اشقاهْ

وقال آخر: سفرتْ فقلتُ لها هجِ فتبرقعتْ. اهـ نقلهُ

فيتضح من هذا الكلام الفوائد الآتية:

اول ما وُضع من اللغة كان حكاية الصوت ثنائي الحرف ساكن الآخر وقد يُمدّ لاطالة الصوت فيقال في «هَجْ» «هاج» وفي «جهْ» «جاه» الخ. وان لم تحكِ جميع اللغات الّا انها تؤخذ من القرائن والقياس

٢ً ينوَّن الآخر على التنكير. او لكي يسمع الحرف الاخير ولا يختلط بحرف آخر من مخرجهِ او من مخرج قريب منهُ

٣ً قد يُكسر الاخير غير منون على التعريف

واما الشواهد في هذا الصدد فكثيرة في كلام اللغويين وقد اجتزأنا بما تقدّم

ذكرهُ لان هذا المقام ليس مقام تطويل واطناب بل موطن تذكيرٍ وتنبيهٍ لا غير (١

وقد يكون الصوت الذي حكاهُ العرب نقلًا عن الطبيعة لا يوافق ما حكاهُ غيرهم من اصحاب الالسنة وهذا هو موطن الخلاف وسبب تشعُّب اللغات وتفرُّع اللهجات (٢ . فان العرب توهَّموا في القطع مثلًا حكاية « قطْ » ثم زادوا العين زيادة لما

(١ ولا بأس من ان نذكر شواهد اخرى في الحاشية . قال ابن فارس في المقاييس في هذا التركيب (مادة د ل ك) : « انَّ فيه في كل شيءٍ سرًّا ولطيفةً . وقد تأملت هذا الباب يعني باب الدال مع اللام (وهو ثنائي على ما ترى) من اولهِ الى آخرهِ فلا تُرى الدال مؤتلفةً مع اللام الّا وهي تدلُّ على حركة ومجيءٍ وذهاب وزوال من مكان الى مكان »

وقال صاحب التاج في مادة (دراً) « والتركيب يدلُّ على دفع الشيء . وقال في مادة (م ل ك) : « اعلم ان تقاليب هذه المادة كلها مستعملة وهي م ل ك – و م ك ل – و ك م ل – وكلم – ول كم – ول م ك – قال الامام فخر الدين : تقاليبها الستة تُفيد القوة والشدَّة . خمسة منها معتبرة وواحد ضائع يعني ل م ك . قال المصنف في البصائر : وهذا غريب منهُ لان المادة الضائعة عندهُ معتبرة معروفة عند اهل اللغة . ثمَّ ساق النقل من العباب ما قيل في اللك قال : فإذن الستة مستعملة مُعطية معنى القوة والشدَّة »

وقال في مادة ن ف د « نقل شيخنا عن الزمخشري في الكشاف انه لو استقرى احدٌ الالفاظ التي فاؤُها نون . وعينها فاء لوجدها دالّةً على معنى الذهاب والخروج » . وقالهُ غيرهُ

وفي التاج : « العين والراء والضاد تكثر فروعها . وهي مع كثرتها ترجع الى اصل واحدٍ وهو العرض الذي يخالف الطول ومن حقَّق النظر ودقَّقهُ علم صحة ذلك »

ومن صدع به البيضاوي في تفسيرهِ المشهور ونصَّ عليهِ في غير موضعٍ من كتابهِ من ذلك ما ذكرهُ عند قولهِ : « ومـا رزقناهم ينفقون » قال : وانفق الشيء وانفدهُ اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤُهُ نون وعينهُ فاء دالًا على معنى الذهاب والخروج (وهو يوافق كلام الزمخشري ايضًا كما مرَّ بك قريبًا هذا) وقال بُعيد ذلك عند قولهِ : « واولئك هم المفلحون » والمفلح بالحاء [والمفلج] بالجيم : الفائز بالمطلوب كانهُ الذي انفتحت لهُ وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركهُ في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح »

قال الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا الصدد : واليهِ يشير صنيع الفيُّومي في المصباح ومن جرى على اصطلاحهِ من اصحاب كُتُب اللغة فانهُ يقول في عنوان كل باب : الالف والباء مثلًا وما يثلثهما . الالف والتاء وما يثلثهما . وعلمٌ جرًّا وعليهِ درج الاعاجم فيما جموهُ من كُتُب اللغة كفريتغ ومن حذا حذوهُ فانهم اول ما يبدأُون المادة بالمضاعف ثم يأتون على عقبهِ بالثلاثي وما فوقه خلافًا لمن ادَّعى انهُ ابتكر ذلك في أُخريات هذه الايام . » اه وبهِ الكفاية

(٢ عدم اتفاق اصحاب اللغة على محاكاة الفاظهم واصواتهم لما في الطبيعة من الاصوات حاصل من عدم وجود مثل تلك الاصوات في اصقاعهم الصوتية بخلاف الاصوات الوجدانية كالضاف

فائدة تأتي على ذكرها في محلها فقالوا « قطع » . وكذلك توهم السكصونيون فقالوا «cut» واما الفرنسيس فقالوا casser والاصل « كس cas » والعرب خصّوها بالكسر . وعلى هذه الصورة يُرى الاختلاف بين لغاتٍ ولغاتٍ حسب التوهّم والتخيل

واذا كان المعنى الذي يُراد له وضع لفظ لا صوت له فامّا انهم يتوهّمون له حكايةً . واما انهم ينقلون له حكاية صوت من الاشياء الخارجيّة فيعيرونها اياهُ . وقد تتّفق جميع اللغات في الوضع وقد لا تتفق . وربما اتفقوا في جنسية الحرف الّا انهم اختلفوا في ترتيبها

فما توهّموا فيهِ الحكاية واتفقوا في وضع حروفهِ كلمة « ضياء » (راجع ما كتبناه في المشرق ٣ : ٦٨١) وكلمة « قطّ » بمعنى الحزّ . فتكاد جميع اللغات تتفق في تسميته بهذه اللفظة « والقبّ » بمعنى الراس او الرئيس وهو في سائر اللغات caput او يقرب منها . « والقدر » فهو بالفرنسيّة chaudron وبالانكليزية caldron وبالارمية ܩܕܪܐ . « وصرّ » بمعنى صرّ الصرّة وغيرها : شدّها والدراهم في الصرّة : وضعها . فيقاربها في اللاتينيّة serare ومنها الفرنسية serrer وامثال ذلك في اللغات كثيرة لا تخفى على الباحث

ومما اتفقوا في وضع جنسية حروفهِ واختلفوا في ترتيبها « كيس » فهو بالانكليزية sack وكذلك بالفرنسيّة sac وكذلك في سائر اللغات فالحروف الاصليّة فيها واحدة الّا انها متقاربة في الالسنة الغربية . ومن هذا القبيل « الورد » فهو باليونانيّة ومشتقاتها ῥόδον و« الارض » نعني بالانكليزية earth وباللاتينيّة terra والاصول واحدة . والراس وبالفارسيّة « سار » او « سر » ويراد به الرئيس ايضاً ومنهُ sir بالانكليزيّة . ومن الافعال « لوى » الشيء ليًّا وباليونانيّة λύω وبالفرنسيّة lier من اللاتينيّة ligare الى آخر ما هنالك من الشواهد العديدة

وجميع هذه الالفاظ الثلاثيّة او ما يزيد عليها راجعة الى حرفين في الاصل ان في اللغة العربيّة وان في سائر اللغات الاجنبيّة والحرفان الاصليان هما كما قلناهُ حكاية صوت حقيقي او وهمي

والتعجب والخوف وغيرها فقد اتفقوا في وضعها الّا انهم اختلفوا عند ما ارادوا ان يشتقوا منها الفاظاً فرعيّة كالافعال مثلاً والاسماء .

ولم تبقَ اللغة العربيَّة واخواتها في هذه الحالة الحرجة بل تدرَّج المتكلمون الى مدّ الصوت امَّا في الحشو واماً في الآخر. فكانوا يمدُّونهُ في الوسط وهو حشو الكلمة اوقلبها عندما كانوا يريدون تأييد اللفظ وطبع معناهُ في الفكر ولذلك تأتوا في النطق واللفظ ليحملوا السامع على ما في فكرهم وكانوا يمدُّونهُ في الآخر او في الطرف عندما كانوا يريدون الافادة والتعبير لا التفكير او التدبير. وكانوا اذا ارادوا طبع الكلمة في القلب وختمها بخاتم البقاء والثبات وآخذ عهد الفكر والسامع بها شدَّدوا النطق بها. فاجتمع من ذلك في اول العهد اللغوي: الاجوف والناقص والمضاعف بدون ان يسبق الواحد الآخر بل انهُ وُجدت ثلاثتهم في آنٍ واحد لغايات مختلفة من استلفات الفكر والافادة في التعبير واثبات المعنى في مقرهِ من القلب (١

ولا بد من اننا نختار مثالاً يكون لنا بمنزلة قياس نقيس عليه سائر ما ورد من هذا الباب. فهذه المادة « ف س » او « ف ش » تدلّ على خروج الريح من محلّ محصور او دخول الريح في محل محصور ومن ثمَّ فمادة « فش » هي حكاية هذا الصوت فتفرَّع منهُ عدَّة فروع كلها ترجع في الاصل الى هذا المعنى او ما يضاهيه فقالوا:

(فاشَ) الرجلُ: افتخر وتكبَّر (كأنهُ امتلأَ من الريح الكاذبة الوهميَّة) ورأى منهُ ما ليس عندهُ. والفيشوشة: الضعف والرخاوة (كما يصيب الوطب اذا خلا من الريح الذي كانت تملأهُ) وعليهِ: فقد مدُّوا مادة ف ش فادخلوا بين الحرفين الالف للغاية التي ذكرناها. وقد قالوا أيضاً:

(فشا) خبرُهُ يفشو فُشُوّاً: اذا انتشر وذاع (كانتشار الريح من محصرها) وفشت امور الناس: افترقت. والماشية: سرحت. والفواشي: ما انتشر من المال كالغنم السائمة والابل وغيرها. ومرجع المعنى واحد. وقالوا:

(فشّ) الوَطْبَ يفشُّهُ فشّاً: اخرج ما فيهِ من الريح يعني بدَّد ما كان فيه

١) المضاعف والاجوف والناقص في اللغات الساميَّات الاخوات لا تتفق دائماً مع ما يقابلها لفظاً في العربيَّة من جنس تلك الافعال في كون مضاعفها يقابل المضاعف العربي واجوفها يقابل الاجوف العربي وناقصها يقابل الناقص العربي. والامر وان كان كذلك في الغالب الَّا انهُ قد يكون على الخلاف ايضاً فقد يكون الاصل الثاني في الساميَّات مضاعفاً وفي العربية اجوف وقد يكون في تلك اجوف وفي لغتنا ناقصاً. وهكذا على التبادل مما يدلّ على ان هذه الافعال كانت في منشإها ثنائية الاصل ثم تصرَّف بها كلّ قوم على لغتهِ ووضعهِ واصطلاحهِ حسب موطنهِ وبيئتهِ وتربيتهِ.

عصوراً) ويقال للغضبان: لأُفُشَّنَّك فشَّ الوطب. اي: لأُخرجنَّ غضبك من راسك بان أبدِّده كل مبدَّد

فانك ترى مما تقدَّم الاجوف والناقص والمضاعف ناشئة من اصلٍ واحدٍ ومادةٍ تركيبيةٍ واحدة. وقد لا ترى الثلاثة مجموعة في مادةٍ واحدة فاما ينقص عنها الاجوف او الناقص او المضاعف. او ان ينقص اثنان ويبقى واحد منها شاهداً على ما اندثر او نُسي تدوينهُ في زمن التقييد

ولما وقف الواضعون على هذا السرّ من الوضع سرّ زيادة الحرف على اصول الكلمة انتقلوا من وضع حروف المدّ الى حروف الندر وهي الحروف الصحيحة بمعنى ان كل حرف مقصور على معنى. فلنرجع الى مادة «فش». مثلاً فزادوا في اوله النون فقالوا:

(نفش) القطنَ ونحوهُ ينفُشُهُ نَفْشاً: شعَّثهُ بالاصابع حتى ينتشر. ونفشتِ الابل والغنم: رعت ليلاً بلا راعٍ فهي نافشة ونُفَّاش (وقد تقدَّم ان الفواشي من المال ما انتشر منهُ كالغنم السائمة والابل وغيرها) والمعنى متدانٍ متقارب متجاور. ثم انهم اخذوا النون من الاول ووضعوها في الوسط وقالوا:

(فَنَّشَ) في الامر تفنيشاً (ولم يُذكر مجرَّده وهو من المندثرات المنقرضات) استرخى. ولا يخلو الاسترخاء من انتشار في الاجزاء

ثم زادوا على هذا الزائد عيناً فقالوا عَنْفَشَتْ لحيتهُ: ضخمت. وقالوا فيها ايضاً عَنْفَشَتْ. وقالوا: انهُ لَعَنْفَش اللحية وعَفَانِشُها اي ضخمها وافرها. ومثلهُ: رجل عَنْفَشُ اللحية وعُنافشها وعَنْفَشيشُها اي طويلها كثّها. وقالوا: الحَنْفَشُ حية عظيمة اذا حرَّبتها انتفخ وريدها

واما تذييل مادة «فش» بالنون يعني قولهم «فشن» فلم يُسمع عنهم الّا انهم زادوا على مادة «فش» اللام في الآخر فقالوا:

اتانا فلان (مُنْفَشِلاً) لحيتهُ. اي: نافشاً اياها ولاعباً بها بيدهِ ثم تصرَّفوا بحروف الزيادة من تقديم وتأخير فقالوا: اتانا (مُنْفَشلاً) اي (مُفْتَنِشاً) والذي في العباب: اتانا (مُنْفَشلاً) بلحيتهِ (ومُنْفَشياً) اي (منفشاً) فانظر حرسك الله هذا التفرُّع العجيب والتشعُّب الغريب مما يُوقف الباحث على اسرار جمَّة من اسرار اللغة الغامضة

وقد سمَّينا زيادة الحرف على اول الكلمة «بالتربيع» ويُقابلهُ بالفرنسية

préfixe. وسمّينا زيادتهُ في الطرف او في الآخر « بالتذييل او التطريف » suffixe. وسمّينا زيادتهُ في الاول او في الآخر « بالزوائد القارّة » affixe و « الحشو » هو زيادتهُ « في الوسط »

والقول بان لا يوجد في الالفاظ الثلاثية العربيّة الّا « متوّجات » فقط دون « مذيّلات » خطأ كما ان القول بوجود « مذيّلات » فقط دون « متوّجات » او دون « حشو » وَهم ايضاً. والاصح ان في اللغة ألفاظاً فيها مذيّلات وكلماً فيها متوّجات ومفردات فيها حشوٌ. ولا اعتبار لما قالهُ بعض المحدثين من اللغويين ما يُخالف هذه الحقيقة الراهنة. ودونك الآن بعض الشواهد. فمثال التتويج:

مادة « د س » فهذا التركيب يدلّ على صوتٍ خفي يُسمع سمعاً دقيقاً كانهُ نَفَسٌ يخرج من إطباق الاسنان بعضها على بعض. ومن ثم اتّخذوهُ للدلالة على كل شيء فيه خفاء او معنى خفاء او ما يشابه الخفاء كالستر والكتم الخ. فقالوا في اول الوضع: (دَسّ) الشيء تحت التراب وغيرهِ دسّهُ فيه: ادخلهُ ودفنهُ تحتهُ واخفاهُ وزجّهُ

فتوّجوهُ بالجيم وقالوا: (الجادس) الدارس من الآثار (يعني الخفيّ منها الذي قد عفا اثرهُ او يكاد)

وتوّجوهُ بالحاء. وقالوا: (حدَس فيهِ) ظنّ وخمّن. وفي معاني الكلام والامور: توهّم. تقول: بلغني عن فلانٍ امرٌ وانا احدس فيهِ: اي اقولهُ بالظنّ والتوهّم. وتحدّس الاخبارَ: تخبّرها واراد ان يعلمها من حيث لا يُعلَمُ بهِ

وزادوا على المادّة الاصلية الراء. فقالوا: (رَدَس بالشيء) ذهب بهِ [خفيةً]

(ومَدَس) مثل (حدَس) ولعلّ الواحد مبدل من الآخر وهو غير بعيد في العربيّة ومثل هذا الابدال كثير الوقوع

وقد تُبدل الدال من بعض الحروف التي تُجانسها مخرجاً فيزداد عدد الالفاظ المتقاربة معنى من ذلك:

(المتنطّس) وهو الذي يُدقّق النظر في الامور ويستقصي علمها. و (تنطّس) الاخبارَ: تجسّسها. (والناطِس) الجاسوس. إلى آخر ما هناك من الالفاظ التي لا تُحصى مثل (تَدَس) و (حسّ) و (وسوس) و. . . و. . . .

ومن هذا القبيل مادة « زق » وما يقاربها مخرجاً فقالوا: حَزَق وحزك وخَزَق

وَخَسَقَ وأزَقَ بمعنى حزم تقريباً وجميع زياداتها ومتوجّاتها وقعت في الراس او في الصدر على ما شاهدت

ومن شواهد الحَشَيات مادة « ل م » فانهـا حكاية صوت الضرب او وقع شيء على شيء فقالوا: (لَتَمَ) اي ضرب. و (لَثَمَ) أَنْفَهُ: لَكَمَهُ. و (لَحَمَ) فلاناً: أضرَّ به ونالهُ بمكروهٍ. و (لَخَمَ) بمعنى لطم. وكذلك (لَدَمَ) فهو بمعناهُ. و (لَكَمَ) فلاناً: ضربهُ باليد مجموعة الاصابع او لكزهُ او دفعهُ

ولمّا كانت اللام والراء قريبتي المخرج قـالوا: (رَتَمَ) فلانٌ الشيء: كسرهُ او دقَّهُ او هو خاصٌ بكسر الانف. ومثلهُ (رَثَمَ) انفهُ او فاهُ يرثمهُ: كسرهُ حتى تقطّر منهُ الدم. و (رَجَمَ) فلانٌ فلاناً: قتلَهُ ورماهُ بالحجارة. وهذا الاخير هو الاصل في معناهُ وباقي المعاني متفرعة منهُ. و (رَدَمَ) الباب: سدَّهُ كلَّهُ او ثُلمَهُ. و (رَسَمَت) الناقةُ: أثّرت في الارض. و (رَسَمَ) كَتَبَ وخطَّ. وكذلك (رَشَمَ) و (رَضَمَ) الارض: اثارها للزرع ونحوهِ. و (رَطَمَ) بسلحهِ: رمَى بهِ. و (رَغَمَ) فـلان فلاناً: كرهَهُ وكرّههُ وفعل شيئاً على رغمـهِ. و (رَقَمَ): كَتَبَ. ولا يخلو من ضرب القلم على الكاغد. و (رَكَمَ) الشيء: جمعهُ والقى بعضهُ على بعض

ومما يُطّرَدُ على هذا السياق مادة « م ج » فانها تدل على المزج والخلط. فقالوا: مَشَجَ ومَزَجَ ومَشَجَ ومَرَجَ. ومعاني الاربعـة ظاهرة. وقد جاء عن الخامس قولهم: مَرَجَ الامر: شوّشهُ وضيّعهُ وخلّطهُ ولم يُحكمهُ. وليست هذه المادة موجودة في اللغات السامية فقط بل في اللغات الهندية الجرمانية والطورانية ايضاً. ثم ان تقارب الجيم من القاف والشين ولّد الفاظاً مختلفة اللغات ومما يذكر في هـذا الصدد: مَاشَ ومَذَقَ ومَسَمَسَ الى آخر ما هناك

الّا ان الغالب على الاصول العربيّة وأمهـات الموادّ هو « التذليل او التطريف » والسبب ظاهر وهو لمّا كان الحرفان الاولان وهما الاصل الثنائي يُحاكي كل المحاكاة ما في الطبيعة من الاصوات كان التذليـل من اقل الزوائد القارّة تأثيراً على تغيير الاصول فزادوا الحرف المتطرّف حفظاً على بقاء حكاية الصوت وإفادة السامع الحرف الاخير من الاصـل الثنائي. ولهذا فالشواهد في هذا الموضوع كثيرة عديدة. من ذلك

مادة « ل ك » فانها تفيد معنى وقع شيء على شيء آخر من صوت بيّن . ودونك شواهد فيقال:

(لَكَّهُ): ضربه بجُمعه في قفاه او ضربه فدفعه . وبدلها: لقَّ عينَهُ: ضربها بيده او براحته

و (لَكَأَهُ) بالسوط: ضربه

و (لاكَ) اللقمةَ: مضغها اهون المضغ وادارها في فمه . وبدلها (لاقَ) يقال: لاقَ عينهُ: ضربها

و (لَكَتَهُ) بالسوط: ضربه

و (لَكَحَهُ): وكزه او ضربه شبيهاً به . وبدله لقحه اي ألقاه

و (لَكَدَهُ): ضربه بيده او دفعه

و (لَكَزَهُ): ضربه بجمع الكف اي وكزه . وبدله لقزه: ضربه بالجمع على الصَّدر او في جميع الجسد او اللّقز واللّكز بجمع الكف في العنق والصَّدر

و (لَكَثَهُ): ضربه باليد مجموعة الاصابع او لكزه او دفعه

و (لَكَضَهُ): ضربه بجمع الكف

و (لَكَمَهُ) العقربُ: لسعته وبدله لقعَ الشيء رمى به . وفلاناً بعينه اصابه بها . والحيّةُ فلاناً: لدغتهُ

و (لَكَمَهُ): ضربه بيده

ومن هذا القبيل: نَبَتَ . نَبَعَ . نَبَغَ . نَبَطَ . نَبَرَ . نَبَثَ . نَبَحَ . نَبَذَ . نَبَزَ . والمعنى الاصل يدلُّ على خروج.

ومن ذلك فَلَّ . فَلَجَ . فَلَحَ . فَلَخَ . فَلَذَ . فَلَعَ . فَلَغَ . فَلَقَ . والمعنى الاصل يدلّ على التجزئة

ومنهُ: فَتَّ . فَتَأَ . فَتَحَ . فَتَرَ الحرُّ . فَتَرَصَ . فَتَغَ . فَتَقَ . فَتَكَ . والمعنى الاصليّ يدلّ على الكسر

ومنهُ: قَثَّ . قَثَأَ . قَثَجَ . قَثَغَ

ومنهُ: فَجَّ . فَجَأَ . فَجَرَ . فَجَسَ . فَجَشَ . فَجَعَ . فَجَمَ . فَجَا

ومنهُ: لَبَتَ . لَبَجَ . لَبَخَ . أَلْبَدَ البعير . لَبَزَ . لَبَسَ عليه الامر . لَبَطَ به الارض .

لَبِكَ . لَبِنَ وهذا الباب رحب كثير الشواهد والامثلة

ولا تظن ان مادَّة الكلمة تُتوَّج فقط او تُحشَى او تُطرَّف فقد يجتمع امران في المادَّة الواحدة كالتتويج مثلاً مع التطريف . او التطريف مع الحشو او غير ذلك . مثال ما نذكرهُ مادة « ل م » فقد تقدَّم القول عنها انها حُشيت ببعض الاحرف فانظر الآن كيف ذُيلت ايضاً فقد قالوا :

(لَمَأَ) فلاناً : ضرب عليهِ يدهُ مجاهرةً وسرا

و (لَمَدَ) كلَدَمَ يعني لطم والواحد مقلوب الآخر

و (لَمَزَ) ضرب ودفع

و (لَمَصَ) : قرَصَ

و (لَمَطَ) فلاناً بالرمح : طعنهُ بهِ

و (لَمَعَ) الطائرُ بجناحيهِ : خفق بهما

و (لَمَقَ) عينهُ : ضربها بكفِّهِ خاصةً

و (لَمَكَ) العجين : مَلَكَهُ والواحد مقلوب الآخر . ومعنى ملكهُ أتمم عجنهُ . وهو لا يكون ألا باعادة ضربهِ باليد شيئاً على شيء كما هو المعهود — ومن ثمَّ فقد وقع في هذه المادة الحشو والتذييل

وقد رأيت في مادة « ف ش » التتويج والحشو ولا تزيد على هذا القدر إذ الغاية من هذه المقالة ايضاح هذا الخاطر بوجهٍ مختصر لا البسط في الامثلة وتعديد الشواهد لانَّ هذا العمل من مواضيع المؤلفات المطوَّلة

هل للنحت وجود في الالفاظ الثلاثيَّة العربيَّة

قد رأيت كيف نشأت الالفاظ الثُنائيَّة فصارت ثلاثيَّة بواسطة العوامل الثلاثة التتويج والحشو والتطريف وكل هذه الادوات او الزوائد لا تخرج من حروف الذلاقة او مبدلاتها . « والحروف الذُلق ستة وهي ثلاثة ذَوْلَقيَّة وهي السلام والراء والنون وثلاثة شفهية وهي الباء والفاء والميم . . . قال ابن جِني : وفي هذه الحروف الستة سر ظريف يُنتفع بهِ في اللغة . وذلك انهُ متى رأيت اسماً رباعياً او خماسياً غير ذي زوائد فلا بُدَّ فيهِ من حرفٍ من هذه الستة او حرفين . وربما كان ثلاثة . وذلك نحو « جعفر » فيهِ الراء والفاء . و « قعضب » فيهِ الباء . و « سلهب » فيهِ اللام والباء . و « سفرجل »

فيه الفاء والراء واللام . و « فَرَزْدَق » فيه الفاء والراء . و « شَمَرْدَل » فيه الميم والراء واللام . و « قرطب » فيه الراء والباء . وهكذا عامة هـذا الباب . فمتى وجدتَ كلمة رباعية او خماسية معرّاة من بعض هذه الحروف الستة فاقضِ بانهُ دخيـل في كلام العرب وليس منهُ . ولذلك سميت الحروف غير هذه الستة « المصمتة » اي صمت عنها ان يُبنى منها كلمة رباعية او خماسية معرّاة من حروف الذلاقة » . اه عن التاج

فاذا ثبت لك هذا الامر وتحققتهُ انت من استقراء الالفاظ انهتك لك سترُ هذا السرّ الغامض وتحققت ان لا نحت في الالفاظ الثلاثية العربية . وان وقعتَ على ما يشبهُ النحت فهو من قبيل الاتفاق . واذا زعم احدٌ ان للنحت وجوداً في الالفـاظ الثلاثية العربية فحينئذٍ لا مانع من ان نقول بان جميع الالفاظ الثلاثية منحوتة لانهُ لا توجد كلمة من هذه الاصول الّا ولها وجهٌ يُخرَّج عليهِ النحت اذ ان المضاعف الثلاثي عديد المواد وكافٍ بنفسهِ لان يقرّر هذه الخواطر التي لا تخرج عن خواطر وهميّـة يطيب ترددها وتكرارها على المخيلة

قال الشيخ المرحوم ابراهيم اليازجي ما هذا نصّهُ بحرفهِ :

« اذا استقريت الافعال الثلاثية ورجعت بها الى هذا الاعتبار (اعتبـار القلب والابدال) وجدت منها ما يتنازعهُ اصلان مختلفان يمكن ردّهُ الى كل واحد منهما او الى كليهما على طريق النحت . وهـذا ولا شك من المباحث الغريبة على سمع اللغوي اذ لم يسبق من قال بالنحت في الالفاظ الثلاثية . وانما الذي طوّع لنا المحاقة اليهِ والتصريح بهِ ما تطمع فيهِ بعد تقريرهِ من النتج الكبير الكافل بسدّ كثير من حاجات اللغة في هذا العصر فان وقفنا منهُ على السداد لم تقع غرابتهُ من تقليب النظر فيهِ وتوسّم وجوه النفع منهُ والّا فلا اقلّ من شفاء الصدر من امر يحك فيهِ والله من وراء القصد . ونحن نورد في هذا الموضع بعضاً من امثلتهِ على قدر ما يحضر منها في عفوخنا القبّض مع ما نحن فيهِ من ضيق الوقت . . . وذلك نحو قولهم : نبض الماء : اذا سال . فانهُ يصح ان يكون من نضّ بزيادة الباء . او من بضّ بزيادة النون . وكلاهما بمعنى نبض (قلنا : وهذا هو الراي الاصحّ عند جمهور المحققين المحدثين) ويمكن ان يكون من كليهما بان نُوي تركيبهما معاً وجعلهما كلمةً واحدة ثم حُذف احد الحرفين المتماثلين منهما وهو الضاد من نضّ فبقيت النون او من بُضّ فبقيت الباء . وركّب هذا الباقي مع اللفظ الآخر . والفرق بين ان يكون اللفظ منحوتاً او غير منحوت انك قد قدّرت الزائد منتزعاً من لفظ معلوم كما قدّمناهُ فهو نحت . وان قدّرتهُ اتفاقياً فلا . . ومن ذلك قولهم : بَمَقَهُ . اذا شقّهُ فانهُ يمكن ان يُرَدّ الى بقّ وعقّ وهما بمعنى بَمَقَ ايضاً . وجاء : انبعق السحاب اذا انفجر بالمطر وهو يحتمل ان يكون مما ذُكر او من بعّ و بقّ . او بعّ وعقّ . ومعنى بعّ : صبّ ماءهُ بكثرة . ومثلهُ انبعج السحاب وهو من بعّ وبجّ . والبجّ : الشقّ في اصباب

الماء كثير . . . ومن النكت في هذا الباب قولهم عبَّرَ النهرَ اذا قطعهُ فانهُ اشبه ان يكون مأخوذاً من العُباب والبرّ (١ والعُباب : معظم الماء لان العابر يقطع الماء الى البرّ . . . على ان الكثير من هذه الامثلة يمكن ردُّهُ الى سلسلة المرقين الاولين (وهو عندنا الاصحّ والاقبل) الّا ان هـذا لا يمنع من جواز ما ذهبنا اليه . . . اه (نقلهُ عن الطبيب سنة ١٨٨٤–١٨٨٥)

وقال في الضياء (٥ : ٣٥٨)

ومن هذه الالفاظ (الثلاثية) ما لا تجد فيـه مندوحة عن النحت والامثلة من ذلك عزيزة بمضرتنا منها كلمات قليلة منها لفظ الأجّ بمعنى الماء الأجاج . فان هـذا لا يكون الّا منحوتاً من ماء وأجاج ثم بنوا منهُ فعلًا فقالوا : مَوَّجَ الماء يَموِّجُ مَوْجَةً فهو مَاجٌ فجاء على حَدّ صَعَّبَ صعوبةً فهو صَعْبٌ . ومن ذلك الكَبْو وفسروه بكمّ الربو وأخِر به ان يكون منحوتاً من هـذين اللفظين اي كمّ وربو . . . وقالوا طُبَّ التراب وزان قُدَّمَ اي عالجهُ ليطيب وهو كذلك منحوت من عالج وطيّب . . . اه نقلهُ

قلنا امّا نحن فلا نسلّم بالنحت في الالفاظ الثلاثية العربيّة الّا في ما شذَّ منها وندر محيثها وانت خبير بان الشاذ والنادر لا يبنى عليهما حكم ولا تصدق عليهما قاعدة ثمّ انَّ جمهور اللغويين الاقدمين انكروا وقوعهُ فيه بصراحة المبنى والمعنى يعني بجلاء العبارة والاشارة . على ان هذا السبب لا يكفي وحدهُ لو لم يضافرهُ عدّة اسباب . ولاسيما لانّ التوسع في العلم والاستقراء لم يوصَد بابه في قديم الزمان حتى يتعذّر فتحهُ على الحدثين . فالعلم مُشاع بين الجميع وفي كل زمان ومكان وقد يفتح الله على هذا ما لم يفتحهُ على ذاك . ولذا فنحن لا نعتبر هـذا الكلام حجّة قاطعة لو لم يجتمع معها غيرها من الحجج . منها :

انَّ للنحت غايةً فاذا بطلت الغاية بطل الوضع للحال . وغاية النحت الجمع بين كلمتين او اكثر للدلالة على « معنى جديد » لا يُوجد الّا في جمع تلك الكلمات او لا لفظ له في السابق يؤدّي المعنى المذكور . فاذا كان المعنى المطلوب موجوداً في لفظةٍ سابقةٍ امتنع الوضع لامتناع السبب . فاذا قالوا البسملة مثلًا فهو منحوت من قولك : بسم الله . وهما لفظتان او ثلاث (باعتبار بسم كلمتين) تدل على معنى جديد وهو الجمع بين معنى تلك الالفاظ وليس في سابق اللغة لفظة ترادفها . فاندفعوا بسبب الحاجة الى

١) لو كان الامر على ما يزعم الكاتب فأحرِ بالعَبِر ان تدل على حيوانٍ يعيش في الماء والبرّ معاً كالسلاحف والضفادع مثلًا . والواقع لا يطابق ما في الخاطر . فما ابعد هذا التأويل عن الحقيقة !!!

هذا الوضع . ومثلهُ في المبشي والمبقي الى غيرها فللوضع سبب واضح . واما تبّض فموجود في بضّ وفي نضّ على ما يشهد الكاتب نفسهُ . وكذلك بعقّهُ فهو بمعنى بعّهُ او عقّهُ . وابعج السحاب موجود في انشق وانعق وانبع وان لم يسمع هذا فالقياس يجيزه . وقس على هذا كل ما اوردهُ من الامثال فاجميعهِ اشباهٌ كثيرة ونظائر لا تعد

من البديهي ان اللفظة المنحوتة في العربية يجب ان لا توجد بحروفها في اللغات الاخوات الساميّات لاسيما لمّا لا يكون فيها وجود للالفاظ التي نُحتت منها والامر بالعكس في مثل « عَبَرَ » النهر فانهُ موجود في جميع اللغات السامية فضلًا عن اللغات الهندية الجرمانية ولا وجود للعُباب في تلك اللغات ففي العبرية ؏؏؏ وفي الارمية ܥܒܪ وفي السنسكريتية « ابري » وفي الفارسية « ابر » و « بر » الى غيرهن من اللغات المختلفة التي يدلّ فيها الاصل « عبر » اما على ضفة النهر واما على معنى الاعتلاء او معنى العبور . والظاهر ان « عبر » مأخوذة من « عب » حكاية صوت الاعتلاء ثم ذُيلت المادة بالراء للدلالة على الحركة لان من خصائص هذا الحرف الدلالة على الحركة ومن ثم تواطأ الجميع على وضع هذا اللفظ لاتفاقهم في حكاية الصوت المذكور

ثم اي فائدة من وضع كلمةٍ منحوتةٍ من العباب والبرّ ولها مترادفات عديدة كجازَ النهر وقطعهُ وشقّهُ » الخ

ولمثل هذا السبب لا نسلّم ببحث « المأج » فهو عندنا من الأج بمعناه ثم زيدت الميم في اولهِ للدلالة على المائية وتقريرها في الذهن او الأج مأخوذ من المجّ ثم جُوّف وهُمز على ما قررنا بعض نواميسهِ ونقرر البعض الآخر في التالي (١) . واما « الكبو » فهو من الكبّ . يقال كبَّ الشيء : اذا ثقل وما الكبو الا ثقل في النفس . واما « عطّب » فلا دليل عليهِ انهُ منحوت « عالج وطيّب » فيجوز ان يقول آخرُ انهُ من عطّرَ وطيّب . او من عطَّر الشراب . او نحو ذلك من الالفاظ التي يستطيع ان يتخيلها كلٌّ منا . وعندنا ان « عطّب » ماخوذ من « طب » حكاية صوت عثور الريح الهابّة بشيء تصادمهُ ثم

---

١) وعندنا ان هذا الراي الاخير هو الارجح ففي العربيةِ مجّ الرجل الشرابَ : رمى به ولا يخفى على الباحث ان من يشرب او يذوق الماء الأجاج يمجّهُ للحال اذا ما تحقق امرهُ . وفي الارمية : ܡܓ ܡܓܓ مجّ وتَفِهَ وخَمَّ وفَسَدَ ومَلُحَ ومَزَّ وأجَّ . فاذا كان مأج منحوتًا من ماء واجاج فكيف يوجد عند الارميين ما يشبههُ وليس عندهم لفظة أجاج . فتأمل

انتقل بِطِيبُ الهواء الى غيرهِ من باب المشابهة . وزادوا العين في الاول للدلالة على الانفتاح والاتساع . كما سيجيء تفصيلهُ في محلّهِ في باب خصائص الحروف . وقالوا عطّب كما قالوا عطّر ومادة « ط ب » و« ط ر » تتشابهان في المخرج . لان الباء والراء من حروف الذلاقة . وقس على غير ذلك من الالفاظ

واول من ذهب الى النحت في الثلاثي المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي كما تقدم الاستشهاد بكلامهِ وتابعهُ الكاتب المتفنن جرجي افندي زيدان . قال في « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » ص ٤٩ في باب تنوعات الالفاظ ما هذا صورتهُ :

كل من هذه التنوُّعات اماَّ ان يكون حاصلاً من تركُّب اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ أو لا. فاذا كان الاول كان حصولهُ على طريقٍ منها النحت اي ادغام كلمتين فاكثر وجعلها كلمة واحدة وهذا راي بعض اللغويين في الرباعي . وعندي ان لا مانع من اطلاقهِ على الثلاثي ايضاً بدليل وجود افعالٍ ثلاثية قابلة الحل الى اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ منها « قطف » ويفيد القطع والجمع والاصل فيهِ على ما ارى « قَطْ لَفْ » الاول قطع والثانية جمع وبالاستعمال أُهملت اللام ونُقلت حركتُها الى ما قبلها فصارت قطف » . ثم قال . . . ومثل ذلك كثير في الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعض اللغويين هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من لهُ شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . وفضلاً عن ذلك ان من يسلّم بامكان حدوثهِ في الرباعي بان يُنحت من اربع او خمس كلمات كلمة واحدة كقولهم بَسْمَلَ . قال : « بسم الله » . . . لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا في ما تقدم من لغة عامتنا دليل » اه

قلنا : انهُ فضلاً عما في تحديد النحت على ما اثبتهُ تقصير ففي ما ذكرهُ محلّ نظر . نعم ان في قَطَفَ بمعنى قطع وجمع معنى جديداً لا يوجد كلّهُ لا في قَطَعَ وحده ولا في جَمَعَ وحدهُ وهو الوجه الذي يجيز النحت لكن من يقول ان هذه اللفظة منحوتة من الحرفين المذكورين ولا تكون مثلاً من قَشْ (اي جمع) وطفْ (اي دنا) وذلك ان القاطف يجمع الاثمار ويدنيها من الناس . او من قسْ (الشيء تتبّعهُ وطلبهُ) وطفْ (اي رَفَعَ) وهو من عمل القاطف ايضاً الى غيرِ ذلك من التفاسير التي لا حدّ لها . الّا ان الكاتب استطاب ما تخيّلهُ من التاويل وما يطابق الحال فاثبتهُ بين المقرَّرات

واما امكان حدوثهِ في الرباعي وفي ما زاد على حروفهِ وعدم امكان حدوثهِ في الثلاثي فهو

قد يكون الامر في هذا ولا يكون في ذاك . وقد تكون القاعدة مثلاً شاملة كلّ الرباعي وما زاد عليه ولا تمسّ الثلاثي . وهذا كثير في قواعد النحو واللغة فقد

تكون القاعدة تطّرد على كـذا من الاوزان او الصيغ ولا تتمشّى على تلك. فيكون النّحت في الرباعي من هذا القبيل ولا يصدق على الثلاثي

٣ً لو كان هذا النحت قد حدث من الالفاظ الثنائية التي تخيّلوها فلا ارى مانعاً من اثبات اللفظتين الثنائيتين على حالها وجعلها رباعيّة بعد النحت يعني لو فرض مثلاً ان من «قشّ وطفّ» قالوا «قطفَ» فلا أرى عدم تجوّزهم قولهم «قشطفَ» وفيها من الخفّة ما فيها فضلاً عن اشارة اصليها الاولين ودفع الفكر اليهما لاول سماع الكلمة. فلا جرم ان جواب المحدثين القائلين بالنحت في الثلاثي هو: ان خفة قَطَفَ اسرع من قَشطَفَ وفي هذه من غرابة اللفظ ما لا توجد في تلك. قلنا: اذا كانت قَطَفَ اخفّ لفظاً على اللسان واقبلها سماعاً للاذان ففي قَشطَفَ من إشارة الاصل وسرعة الفهم الى المطلوب ما لا يوجب معها شرحاً ابداً بخلاف المنحوت من كلمتين بعد ان حُذف منها شيء. فقد يخفى مع نحتها المعنى المقصود من وَضع الكلمة بل وتستلزم تأويلاً او شرحاً او سَبْق فَهم بخلاف المنحوت الباقي على حالهِ كما في شقحطب مثلاً

٣ً في النحت الرباعي يُحذف ما كان في الالفاظ الاصليّة من الحروف الذّلق او الحروف الخفيفة على اللسان او الخفيفة الصوت وتبقى الحروف الفخيمة او المصمتة امّا الحروف الخفيّة الصوت التي تُحذف فهي حروف العلّة والهمز والهاء واللام والراء والنون والباء والفاء والميم. فاذا حفظنا هذه القاعدة نرى ان اغلب الفاظهم المنحوتة لا تجري الّا على هذه القاعدة

امّا قولهُ «ان في لغة العامّة دليلاً على ذلك». قلنا: نعم ان فيه لدليلاً على الاختزال الذي هو من قبيل النحت وليس بهِ. وقد انتبه لهُ العرب من قديم الزمان فنهم من سمّاهُ بالقطعة ومنهم من اطلق عليهِ اسم العُنعنة والجمهور عرفهُ باسم القبض وآخرون سمّوه بالادغام. قال ابن الانباريّ في كتاب اسرار العربيّة (ص ١٦٩): ... امّا «بَلعَنبر فاصلهُ بنو العنبر» الّا انهم حذفوا الحرف المعتلّ لسكونهِ وسكون اللام لم يمكنهم الادغام لحركة النون وسكون اللام فحذفوا النون بدلاً من الادغام. ومن ذلك قولهم: «بَلعَمّ» يريدون: «بني العمّ» قال الشاعر:

اذا غاب عَنّا غاب عنك «بَلعَنبرٍ» لم يكن جليداً ولم تعطف عليك العَواطِفُ

ومن ذلك قولهم: «عَلماء» بنو فلان. يريدون: «على الماء». قال الشاعر:

غَداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بْنُ وائلٍ وعُجنا صُدُورَ الخَيلِ شَطْرَ تميمِ

يريد «على الماء» (ثمّ زاد ما يأتي وهو كلام حريّ بان يُكتب بماء الذهب) : وهذا كلهُ ليس بمطّرد في القياس وانما دعاهم الى ذلك «كثرة الاستعمال وهو من الشاذّ الذي لا يُقاس عليه» فاعرفهُ تُصِبْ ان شاء الله تعالى . اهـ

قلتُ ومثل هـذا الادغام كثير في كلامهم كَبَلحارث وبَلقَين وبَلهَجيم وبَلعنبر ولَابَ لكَ (في لا أبا لك) الى غير ذلك من الالفاظ العديدة. وقد عرفهُ اللغويون ايضاً باسم التخفيف (راجع بلقين في مادة ق ي ن في اللسان والتاج)

والّا فلو سلّمنا النحت في الثلاثي لكان المنحوت اكثر من غيره ولاسيما اذا اتّبعنا مخيّلتنا في تقوّلاتنا وحينئذٍ لا تمرُّ بنا لفظة الّا وتخيّلنا لها وجهاً من النحت . فقد جاء في دواوين اللغة خَمِجَ اللحم بمعنى فسد . فيكون منحوتاً من خمَّ وخَجَ او خَمَ ومَجَ والمعنى واحد اي فسد فَدَفَعَتْهُ النفس وكرهتْهُ . وجاء فيها : أمِجَ العودُ : جرى فيه الماء فكانهُ مؤلف من أ (خذ) (ا) م (ا . بالـ) ج (ري) اي انهـا نُحتت من ثلاث كلمات أُخذ من كل واحدة منهن حرفٌ — وجاء فيها ماء خَمجَرِيّ وهو الماء الملح او الذي لا يبلغ الأجاج وتشربهُ الدواب او الخمجري : المرُّ . فكانهُ منحوت من «خمّ الماء الجاري فمرّ» اي فسد الماء الجاري فصار مرًّا . ومثل هذا اكثر من ان يُحصى وما ذلك الّا من قبيل متابعة من اشتقّ اسم الملكة هيلانة من «هي الان» قال ياقوت في ترجمة «حوض هيلانة» : «وقيل انها سميت هيلانة لأنها كانت تكثر من قول : «هي الان» اذا استعجلت احداً في شيء تأمرهُ بهِ وسُمّيت هيلانة لذلك» . فاذا كان الامر كذلك هـان علينا كل خطب ولم يعد اشكال في شيء من الالفاظ

على انا اذا انكرنا وقوع النحت في الثلاثي (اللهمّ الّا في الفاظ قليلة كليس مثلًا فانها ولا شك في ذلك منحوتة من «لا أيسَ = لا إيتَ الماثلة . ووَيْل فان اصلها وَيْ لِ . وأيْنَكَ كذا فانها مؤلفة من «من أجلِ أنّك» وغيرها) فلا ننكر ورودهُ في الرباعي وما زاد عليهِ . ومن ثمّ فانّنا لا نوافق المُغالين في القول بوجود النحت في كثير من الالفاظ الثلاثيّة كما اننا لا نُتابع المستشرقين وصاحب المشرق القائلين (١

١) راجع في المشرق (٤ : ١٠٢٦–١٠٣١) مقالتنا في الالفاظ العربيّة المنحوتة حيث اوضحنا رأينا في ذلك وأيّدناهُ بالبرهان ل . ش

« ان المنحوت في كلام العرب لا يكاد يَربي على خمسين لفظة » فلقد جمعنا الفاظاً لا يصحّ تفسيرها الّا بالذهاب الى نحتها . والله من وراء الحقيقة . ومع ذلك فلا يمكن القول ان للنحت طريقة معلومة حتى تُتَّخذ قاعدة للجري عليها ولتأليف ألفاظ جديدة تفي بغايات العصر فلقد أجمع العرب على انّ النحت غير مطرد القياس بل انما نشأ من كثرة الاستعمال وتحاكّ الالفاظ بعضها ببعض وتغانّيها فيفني فيها الضعيف ويبقى منها القويّ ذلك من تنازع البقاء . سُنّة الله في خلقهِ وفي ما ينتج منهُ ويتولد عنهُ

وممّا يجب ان يُلاحظ في باب النحت ويحتفظ بهِ ان هذا النوع من التركيب حديث الوضع والنشوء في الثلاثي يعني انهُ لم يرد الّا قُبيل الاسلام وليس لهُ وجود في عهد الجاهليّة الصميم . وهو أمر يلزم الانتباه اليهِ والالتفات الى همّتهِ . والنزر القليل الذي ورد يُعدّ كالنادر الشاذّ والنادر الشاذ كالعدم اذ لا يطّرد في القياس (لهُ تتمّة)

اثر يونانيّ

في خزانة القصر السلطاني (١

لحضرة الدكتور توما هودنش نزيل مدرستنا الكليّة

انّ في دار السلام من الآثار الكتابيّة والمخطوطات النفيسة ما لا يزال العلماء يتوقون الى مطالعتهِ . وقد عُنيت الحضرة الشاهانيّة اداما الله منذ جلوسها المأنوس على عرش الخلافة بترتيب تلك الذخائر الثمينة من طلّابها . فطُبعت بامر الذات العليّة عدّة قوائم لمخطوطات الخزائن الكتابيّة وتعيّن للمكاتب مأمورون يقومون في خدمة العلماء الذين يرغبون في درس تلك الآثار

ومن الخزائن التي كان ارباب العلم يتشوّقون الى نظر مخطوطاتها خزانة القصر القديم الذي سكنهُ السلاطين العظام الى اواسط القرن المنصرم . وهذا البلاط قد خُصّ اليوم

(1) Nachrichten des russischen archaeologischen Institutes in Konstantinopel. — SERAILER OKTATEUCHKODEX von Th. Uspenskij. mit einem Album auf 46 Blaettern und 6 Beilagen im Text. — *Sofia* 1907.
(Izvestija russkago archeologiceskago Instituta v. Konstantinopole SEALJSKIJ KODEKS vosmiknizija T. Uspenskij, *Sofija*, 1907)

بالمتاحف والعاديّات وهو يُعرف بطوب قبوسراي. وفيهِ كانت خزانة غنيّة بالمخطوطات وبقيت تلك الكتبخانة مصونة كالدرة اليتيمة التي لا تُرام لم يدخلها الّا بعض الافراد من علماء الفرنسويين في القرن السابع عشر والثامن عشر بعد أن نالوا في ذلك الرخصة من اصحاب الامر فوجدوا عددًا وافرًا من المخطوطات الثمينة في التركيّة والفارسيّة والعربيّة. وكانت رغبتهم القصوى ان يقفوا على تركة ملوك الروم من المخطوطات اليونانيّة الفريدة ممّا اخذتهُ يد الضياع ككبار الفلاسفة والمؤرخين الاقدمين فوجدوا هناك عددًا وافرًا من تلك الآثار تلطّف السلاطين الكرام باهداء بعضها الى ملوك فرنسة(١

وفي هذه المدّة الاخيرة تفضّلت الذات السلطانيّة فمنحت لبعض العلماء الرخصة بالتفتيش في تلك الخزانة وتدوين قائمة كتبها. فتصفّح تلك المخطوطات العلّامة مردمان (Mordmann) ودزيه (Desier) وميلر (F. Miller) وبعثة الجمع العلميّة ولاسيّما الاستاذ بلاس (Blass) سنة ١٨٨٧ فانهُ نظر فيها نظرًا تامًّا. وكلّهم يثنون على ما في تلك المكتبة من المخطوطات الشرقيّة أمّا المخطوطات اليونانيّة فانّهم لم يجدوا منها الّا قسمًا صغيرًا ومعظمها من التآليف المعروفة المنشورة بالطبع. فارتاب العلماء من ذلك ويغلب ظنّهم على انّ المكتبة القيصريّة اليونانيّة ليست كلها في خزانة طوب قبوسراي ولعلّ كثيرًا من تلك المخطوطات لا يزال مودعًا في أحياء أخرى او في بعض الحجر الداخليّة

وممّا ظهر مؤخرًا من تلك الدفائن الثمينة اثر يونانيّ وقف عليهِ علماء المكتب الروسيّ في الاستانة العليّة ووصفهُ وصفًا مدققًا العلّامة اوسبنسكي (Th. Ouspen-sky). ألا وهو كتاب خطّي يحتوي خمسة اسفار موسى يليها سفر القضاة ثمّ يوشع ثمّ راعوث وهو من التآليف المعروفة بالمثمّنة (Octateuques) لاحتوائها على الثمانية الاسفار الاولى من التوراة. وهي كلّها باليونانيّة على حسب النصّ المعروف بالسبعيني. وقبل تعريفهِ لا بُدّ من تقديم بعض الملحوظات لبيان خواصه

١) راجع كتاب العلّامة اومون في البعثات الفرنساويّة الى الشرق: H. Omont: *Missions archéologiques françaises en Orient aux XVII^e et XVIII^e siècles*. Paris, 1902, pp.251-278, etc.

كان البوزنطيّون منذ اواخر القرن الخامس اعتادوا ان يجمعوا في كتاب واحد بعض اسفار الكتب المقدّسة ثمّ يكتبون على هوامشها ما قالهُ الاباء في شرح كل آية من تلك الاسفار وهم يدعون هذه الجاميع «مجاني الزهور» Ἐκλογαί واوّل من سبق الى ذلك الكاتب بروكوبيوس الغزّي (٤٦٥–٥٢٨) فانهُ جمع تفاسير الآباء على عدّة اسفار من الكتب المقدّسة. واشتهر هذا المجموع الذي نسج على منوالهِ غيرهُ من الكتبة فتوفّرت هذه الجاميع ومنها الى يومنا نسخٌ متعدّدة تختلف فيها الاسفار المنتخبة في الكم والكيف وقد طُبع منها عدد وافر. ومن اخصّ فوائدها انها تحتوي شروحاً لآباء وكتبة قدماء فُقدت اليوم تفاسيرهم. ثمّ حذت الكتبة اللاتينيّة حذو الكتبة اليونانيّة فجعل كتبتُها يجمعون ايضاً الاسفار الالهيّة ويضيفون اليها شروح اللافنة والآباء. فكثرت في الغرب كما شاعت في الشرق. واللاتينيّون يدعون هذه الجاميع سلاسل كتابيّة (Catenæ) نُشر اغلبها بالطبع

فلنعودنّ الآن الى وصف هذه النسخة الجديدة التي اخرجها من مكمنها العلاّمة اوسبنسكي فنقول:

اوّلًا انّ المجموع الذي اكتشفهُ الاستاذ الروسي يمتاز بقدمهِ فانّ كتابتهُ تدلّ على انهُ من القرن الثاني عشر. لكنهُ مع قدمهِ يوجد نسخ اقدم منهُ ترتقي الى القرن الحادي عشر

ثانياً ومن مميزات هذا المخطوط وفرة الشروح التي عُلقت على هامشهِ منقولة عن الآباء والمعلمين فلا شكّ ان محبي الآثار الكتابيّة يُقبلون على درسهِ ليقفوا على ما فُقد من اعمال القدماء ومعلّمي الكنيسة ولا يخفى ما يترتّب على ذلك من الشأن والخطر لاسيّما اذا قابلوا بين هذه النسخة والنسخ المشاكلة لها المعروفة حتى الان

ثالثاً ولهذه النسخة الخطيّة مزيّة أخرى لاتجدها ألّا في خمس نسخ مخطوطة غيرها نريد صورها البديعة ذات الالوان الزاهية التي تزيّنها. أمّا بقيّة النسخ المصورة فنسختا مكتبة الواتيكان ثمّ نسخة دير فاتوبيدي على جبل اثوس ثمّ نسخة ازمير واخيراً نسخة مونيخ في باقارية. وصور هذه النسخ كلها متشابهة ما يدلّ على أنها نُقلت عن اصل واحد. وقد أحسن المسيو اوسبنسكي برسم هذه الصور ونشرها بالطبع فاهدانا من كتابهِ نسخةً راعنا منظرها

رابعاً وتمتاز هذه النسخة بسمةٍ اخرى بيَّنها المسيو اوسبنسكي بياناً جليا وهي علاقتها مع سلسلة من جنسها عُني بطبعها اسقف روسي اسمه نيقيفورس ثاوطوكيس (١٧٣١—١٨٠٠) فانهُ كان طبع في ليبسيك سنة ١٧٧٢ شروحاً على ثمانية اسفار الكتاب المقدَّس الاولى باليونانيَّة وكان العلماء حتى الان يجهلون المصادر التي اخذ عنها فالاستاذ اوسبنسكي عارض تأليف نيقيفورس بالنسخة المكتشفة حديثاً فتحقَّق انَّ ذلك الاسقف استند الى هذا المخطوط عينهِ واخذ عنهُ كثيراً من شروحهِ وكان نيقيفورس جاء الاستانة ونزل ضيفاً في الفنار دار بطريركيَّة الروم في عهد صموئيل الثاني من السنة ١٧٦٥ الى ١٧٦٨ وكان من اصدقائهِ هناك المسمَّى غريغوريوس غيكا رئيس تراجمة الباب العالي. فمن المرجح انَّ غريغوريوس استعار لنيقيفورس النسخة المخطوطة التي اكتُشفت اليوم فنقل عنها

خامساً وآخرها يُستفاد من هذه النسخة انَّ في مقدَّمتها بعض معلومات عن قياصرة دولة كومنين (Comnène). فانَّ في صدرها رسالة باسم ارستاوس الى فيلوكراتيس كان العلماء يعرفونها الَّا انها في هذه النسخة رُويت على صورة غير صورتها المعروفة وذلك بيد اسحاق الملقَّب بصاحب العزَّة (Sebastokrator)

وكان اسحاق هذا قد ولد سنة ١٠٩٢ واشتهر كابنٍ للامبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١—١١١٨) ثمَّ ادى ليوحنا اخي الامبراطور الكسيس خدم كثيرة فاتبهُ الكسيس باسم شرف فدعاهُ بصاحب العزَّة. لكنَّهُ بعد ذلك عُزل من مرتبتهِ ونُفي فشيَّد ديراً في فرديك على ضفَّة نهر ماريزا على اسم البتول "ملجأ العالم" (Κοσμοσώτειρα) وقد وجد حضرة الاب بتي (R. P. Petit) الصعودي هناك كتابةً يونانيَّة على اسم اسحاق المذكور

وكذلك قد استدلَّ المسيو اوسبنسكي من درس هذه الرسالة وخواصّها اللغويَّة انَّ اسحاق هذا هو الذي جمع بعض طُرف من شعر اوميروس المفقودة (Περὶ τῶν Κατα-λειφθέντων ὑπὸ τοῦ Ὁμήρου) كان العلماء ومن جملتهم العلامة كرومباخر في تاريخ الادب البوزنطيَّة (Krumbacher; *Geschichte d. byz. Literatur*, 528) ينسبونها الى الامبراطور اسحاق كومنين (١٠٥٧ — ١٠٥٩) فانخدعوا بمشابهة الاسمين

ونسبوا للامبراطور اسحاق ما لا يصحّ الّا في اسحاق هذا الملقّب بصاحب المزة ابن الكسيس كومنين

فترى ما من الفضل للعلامة اوسبنسكي بنشر هذا الاثر اليوناني وما استخلص منهُ من الفوائد فنقدّم لهُ آيات الشكر على صنعهِ كما أنّنا نشكر المكتب الاثري الروسي في الاستانة على اعتنائهِ بهذه الاثار الجليلة وطبعها على نفقتهِ

لمحة

في حوادث العام المنصرم

نظر للاب لويس دترڤال اليسوعي

هو التاريخ ترقم ايدي الدهر صفحاتهِ بمداد يختلف حسناً وبهاء مع اختلاف الحوادث فيدوّن تارةً أنباء النصر والفرح وتارةً يخلّد ذكر النكبات والحزن . يشير اليوم الى ترقٍ وصعود وغداً ينبئ بتقهقر وهبوط . فيا حبّذا المرء لو اتّخذ تقلّبهُ كعبرة يعتبرها وكعظة يتعظ بها ليوجه الخاطر نحو عالم الثبوت والقرار ومنزل افراح لا تشوبها الاكدار

وها نحن نلخّص في بدء هذه السنة الجديدة جملة الامور التي طرأت على ارضنا في العام الماضي فنلحق هذا النظر بما اسلفناهُ في اجزاء المشرق السابقة ليسهل على القارئ الرجوع اليها عند الحاجة

الدولة العلية

انّ الحضرة السلطانية اعزّها الله وأيد شوكتها جرت في العام المنصرم جريها في السنين الماضية في كل ما يؤول الى خير العباد وتحسين احوال البلاد بل رأينا فيها مآثر جديدة تستوجب من جميع رعاياها الشكر التامّ تقتضي رفع اكفّ الدعاء الى المليك المتعال بأن يزيد الذات الشاهانية عزّاً وفخراً ويثبت العرش الحميديّ على اركان لا يضعضعها الدهر مدى الدوران

فمن اعظم آثار جلالة متبوعنا الاعلى السكك الحديدية التي تمتدّ في كل انحاء

الدولة فتوفر اسباب العمران . واولها خطّ الحجاز الذي تتقدّم اشغاله بهمّة لا تعرف الملل حتى ناهز المدّة بلوغ الكيلومتر الالف منه . والقطارات تسير سيرًا منظمًا الى مدائن صالح . اما التسوية الترابيّة فبلغت ١٢٠٠ كيلومترًا . والأنباء البرقيّة تفيد بأنّ الاشغال من جهة المدينة قائمة ايضًا على ساق

ومن الخطوط التي يلوح اليوم عظم شأنها خطّ حيفا الى دمشق فانّه فتح للتجارة بابًا واسعًا فنهضت به تلك الجهات من خمولها واجدى للمدينتين منافع لا تُحصى ولاسيما حيفا التي يزيد ميناها كل يوم حركةً وتقدُّمًا حتى صارت تزاحم بيروت بوفرة السفن التي ترسي عندها هذا فضلًا عن خطوطها التلغرافيّة الثلثة وخصب اراضيها . وتقطع السكّة بلادًا ذات مناظر جميلة فتّانة وهي تتّصل بالخطّ الحجازي . وعلى هذه السكّة سارت آخرًا الى الحجّ سعادة الخاتون والدة حضرة شاه العجم

وكذلك خطّ رياق الى حلب فانّ سوق اعماله في رواج عظيم حتى لم تَعُد عنابر البضائع كافية لإحراز السِلَع الواردة على الشركة في عدّة محطّات . وترقّي اشغال هذه السكّة اوجب توسيع مينا بيروت . وقد بُوشر بهذا العمل منذ زمن قليل

وممّا سرّتنا بُشراهُ في تذكار جلوس الحضرة العليّة افتتاح اشغال شركة العجلات العثمانيّة بين حلب وبغداد فتقرّبت بذلك المسافات حتى صارت العجلات تقطعها في ثمانية ايّام وكانت لا تُقطع سابقًا الّا بشهر من الزمان . ففي اليوم المذكور خرجت عجلتان من الزوراء والشهباء فقطعتا البوادي متعاكستين وناشرتين على رؤوس الاشهاد مفاخر العرش الحميدي

وكذلك قد رخّصت الذات السلطانيّة بادخال عجلات الاوتوموبيل في الممالك المحروسة فاسرعت شركتان الى طلب امتياز لتسييرها الواحدة بين القدس وغزّة ويافا ومدينة الخليل والاخرى بين بروسّة وضواحيها

امّا خطّ بغداد الحديديّ فانّ اعماله قد خمدت قليلًا في هذا السنة بسبب الازمة الماليّة التي حصلت في انحاء اوربّة . الّا انّ الشركات التي أُنعم عليها بمدّ هذا الخطّ عازمة على مواصلة الشغل بنشاط وانا ضامن على ذلك المحطّة الفخيمة التي أُقيمت لهذه الغاية في حيدر باشا قريبًا من اسكدار بازاء استنبول

ومن الادلّة الجليلة على سموّ نظر الحضرة السلطانيّة انّها حفظها الله عوّلت على

سدّ باب المجاعة في وجه رعاياها. ولذلك قد عُنيت بسقي مفازة واسعة الارجاء تُدعى ماكي جنوبيّ غربيّ قونية على بُعد مئة كيلومتر منها فعُقد وفاق بين الباب العالي وشركة السكة الحديديّة في الاناضول فحتمت الدولة على الشركة بان تخزن فروع بحيرة باي جاير على طول ١١٥ كيلومترًا فتشيّد لها احواضًا وخزّانًا وقتيًا لهذه الغاية تستطيع ان تسقي سهولًا متّسعة بائرة يبلغ تكسيرها ٥٤,٠٠٠ هكتار فانّ تلك السهول يمكنها ان تملّ سنويًا ٢٠,٠٠٠ عجلة من عجلات السكّة الحديديّة. وفي نيّة جلالة السلطان الاعظم ان يجعل تلك الانحاء مستعمرات لمسلمي بلغارية وروسيّة

وما هو اخطر واجلّ من ذلك الترقّي الصناعيّ الذي حصل في باطن الممالك المحروسة فانّ عدّة شركات نالت فرمانات شاهانيّة لمشروعات جليلة وخصوصًا للتنوير بالكهرباء. فالامل معقود ان تُبدل الترامواي الجارية مع الخيل بترامواي كهربائيّة في الاستانة. وعمّا قليل ستفوز بيروت بمثل هذه النعمة كاختها دمشق التي تجري فيها الكهرباء منذ سنة بحيث كما انها تُنار بالكهرباء. ولا تلبث بيروت ان ترى ذلك في طُرقها واحيائها الى حدود لبنان. وترى مثل هذه الحركة في سلانيك وازمير للترامواي والتنوير الكهربائي

هذا ولا يسعنا ان نسكت عن اثر آخر للحضرة العليّة السلطانيّة الذي يؤمَّل منهُ منافع جمّة لهذه البلاد ألا وهو المكتب الصنائعي الذي جرى تدشينهُ في رأس بيروت في عيد جلوسها الأنوس ومَنْ زار هذا المكتب تحقّق انهُ أُنشئ بتمام الاهبة وعلى احسن طرز يليق بالغاية المرغوبة ويوافق التمدُّن العصري. وقد بلغ عدد طلبتهِ حتّى الآن نحو ١٥٠ طالبًا

ثمّ افادتنا مراسلات بغداد مؤخرًا انّ المتبوع الاعظم امر باجراء مسابقات لاصائل الخيل تنشيطًا لتربية جياد الخيل وتوفيرًا لعددها وأُضيف الى تلك السباقات العاب اخرى بهجة

ونضرب الصفح عن المناجم وتعدينها فانّ نطاقها يتّسع يومًا بعد يوم نخصّ منها بالذكر معادن هرقلة

ولمّا حدث في بعض انحاء الدولة ارتفاع في اسعار الحنطة اسرعت الحضرة السلطانيّة

فاستدركت الامر لطفاً بالعباد ورحمةً بالبائسين فامرت بمنع اصدار الحبوب الى الخارج وخفض الضرائب على ما يرد منها الى الممالك المحروسة

امَّا العلائق الرسميَّة مع بقيَّة الدول فانها غاية في الولاء والتودُّد. وكانت الحضرة السلطانيَّة اوفدت لمؤتمر السلم في لاهاي صاحب الدولة طرخان باشا دلالةً على نواياها السلميَّة وارتياحها الى التحابِّ والأُلفة العامَّة

ومن شارات هذه العلائق الوداديَّة انَّ جلالتهُ اوفد الى ايطالية صاحب السعادة سليم باشا ملحمة ليقدّم لجلالة ملك ايطالية الوسامات الشاهانيَّة ولتوثيق عُرى الوداد مع قداسة الحبر الاعظم

وكذلك استقبلت الذات السلطانيَّـة بكل حفاوة الوفد الحبشي الذي ارسلهُ النجاشي منليك مع الامير مشاشيا الى دار السلام لتقدمة واجبات الاكرام الى العرش الحميدي

وممَّا اعلن بهِ سيادة المطران غياري الذي تعيَّن في الشهر المنصرم للمقام الكرديناليّ انهُ وجد في سياحتهِ الاخيرة الى الشرق الشعب الكاثوليكي جمعاً والجمعيَّات الرهبانيَّة خصوصاً حاصلين على كل مرغوبهم لاقامة فرائضهم الدينيَّة وتعزيز مشروعاتهم الخيريَّة

ومن التعطُّفات الشاهانيَّة على لبنان تعيين خلفٍ لمتصرّف الجبل الشهير المرحوم مظفر المتوفى في ٢٨ حزيران فوقعت انظار الذات العليَّة على صاحب الدولة يوسف فرنكو باشا ابن المرحوم المتصرّف السابق فرنكو باشا الذي كان قدومهُ الى بيروت في ٢٤ تموز وقد باشر منذ وصولهِ باعمال مأموريتهِ السامية بغاية النشاط والحزم والدراية فحاز برضى المتبوع الاعظم وحقَّق امانيهُ

الكرسي الرسولي

ستكون هذه السنة من السنين المعدودة في تاريخ الكنيسة ولاسيما في حبريَّة البابا بيوس العاشر فانَّ نائب المسيح اظهر في تدبير امور الكنيسة درايةً واسعة وحسن نظرٍ سامٍ يُقضى بها العجب

واوَّل ما ينبغي لنا ذكرهُ عنايتهُ بكنيسة فرنسة التي لا تزال معرضةً لاخطار جمة

أثارتها الحكومة لمناكسة الدين وهضم حقوق اصحابه وافتتح السنة برسالة تتدفق حكمةً كتبها امام الاحبار مثنياً فيها على طاعة الكاثوليك ومحرّضاً لهم على الاتّحاد التام مع رؤسائهم الروحيين. فبايعاز قداسته اجتمع اساقفة فرنسة واتّفقوا للدفاع عن الدين بإزاء اعدائه على عدّة بنود عرضوها على الكرسي الرسولي مجاهرين بالخضوع التام لتداعيه. والحقّ يقال انّ الكاثوليك رغماً عمّا يرونه من سوء المعاملة في امورهم الروحيّة كسلب اوقافهم وطرد رهبانهم وإقفال مدارسهم والغاء رواتب كهنتهم وجدوا في قيادة الحبر الاعظم وارشاداته اعظم مساعد على تنظيم احوالهم وتلافي الشرور التي تُصبّ عليهم. ولا جرم أنهم يفوزون بالغلبة لأنّ انتصار الباطل لساعةٍ وانتصار الحقّ الى قيامة الساعة

وجاء ضبط اوراق سفير الكرسي الرسوليّ السيد مونتانيني على خلاف المعاملات الجارية في كلّ الدول شاهداً جديداً على مساوئ الحكومة وصدق نيّات الكرسيّ الرسوليّ واستقامته في المخابرات فضلاً عن كونها لم تكن محتويةً لشيءٍ يختصّ حقوق الدولة. امّا تصفية اموال الرهبان التي كانت الحكومة اشاعت بأنها ستكون مصدراً لارباح طائلة للاهلين فانّها على خلاف ذلك سبّبت خسائر متعدّدة للبلديّات الموكول اليها تصفيتها. وكان الرابحون بعض افرادٍ اشتروا تلك الاموال باثمان زريّة لا تفي بنفقات بيعها. وزد على ذلك ما جرى من التلاعب في مساومة تلك الاملاك وفي التصرّف بها دون تحقيق

وقد لاحت حكمة الاب الاقدس كضوء النهار في مسألة اخرى ذات خطر عظيم نريد ضربةً على تلك التعاليم المستحدثة التي اشاعها بعض العصريين فحاولوا ان ينقضوا معتقدات الكنيسة الكاثوليكيّة وينكروا الوحي الالهيّ وينتصروا للاضاليل الناجمة عن الالحاد والمرطقات الحديثة. فرأى كبير الاحبار ان يضع حدّاً لاقوال هؤلاء المبتدعين كالدكتور شيل في المانية ولوازي في فرنسة وتيرل في انكلترة فجمع اقاويلهم على شاكلة ٦٥ قضيّة نعى المجمع المقدّس عن تعليمها لما فيها من الضلال. وقد اثبت المشرق (١٠ : ٩١٣ — ٩٢١) جدول تلك القضايا وابدى رأيه في فساد مضامينها

ثمّ الحق الحبر الاعظم ذلك الحكم ببراءة جليلة ضمّنها البحث في مذاهب هؤلاء المحدثين وفي أسانيدها الواهنة التي بنى عليها اصحابها مزاعمهم الباطلة مع تعريف عواقب

تلك التعاليم الوخيمة. فكان لهذه الرسالة احسن وقع في القلوب واسرع الى الاعتراف بصحّتها وحقّيتها كلّ من لم يستغوِهم روح الضلال وشيطان البدع. امّا العُصاة فلم يُجدِهم عصيانهم نفعًا فانّ الكرسيّ الرسولي حرم منشوراتهم واوقع بهم القصاصات الكنسيّة

ولم يكتفِ البابا بيوس العاشر بقطع دابر الشقاق فانّهُ في هذه السنة نشّط بكتاباتهِ وخطبهِ كثيرًا من المشروعات العمرانيّة والاعمال الخيريّة. فمن ذلك ما اوصى بهِ الكاثوليك بان يجعلوا الصحافة في مقدّمة اسباب الدفاع عن الدين ويتّخذوا الطباعة كآلة فعّالة لنشر التعاليم القويمة. ومنها كتاباتهُ الى المؤتمرات الكاثوليكيّة الفرنساويّة والالمانيّة كمؤتمر الشبيبة الفرنسويّة والجمع القربانيّ ومؤتمر كاثوليك المانية ومؤتمر الرقيق فانّ الحبر الاعظم كتب الى اصحاب هذه المؤتمرات او خطب في مُنشئيها باعثًا هممهم منشطًا لعزائمهم مشيرًا الى الخطط التي يجب عليهم نهجها. وقد اتّصلت همّتهُ الى ما هو ادنى واصغر من ذلك الى جمعيّات الشبّان الكاثوليك المتروّضين بالرياضات البدنيّة (راجع الشرق ٩: ٢٨–٣١) والى شركات حماية الحيوانات مع انّ اكثر اعضاء هذه الشركات من البروتستانت

وما هو ارفع من ذلك قدرًا انشاء الحبر الاعظم لمحفل كاثوليكي لنشر العلوم وتنشيط المعارف في العالم الكاثوليكيّ فعهد بتشكيل هذا المحفل الى ثلاثة من اعظم كرادلة رومية المشهود لهم بطول الباع وسموّ الادراك فجعلوا مقدّمًا للجنة المركزيّة المؤرخ الكاثوليكيّ الشهير لويس باستور. ومن اعضاء اللجنة العاملين الاب هاكن اليسوعي الفلكيّ الاميركيّ الذائع الصيت الذي استقدمهُ الاب الاقدس لادارة مرصد الفاتيكان. وقد اخذت المكاتيب ترد عليهِ من كل الاندية العلميّة طالبةً الانضمام الى هذا المحفل الجديد الذي أسهبت الصحف على اختلاف نزعاتها في بيان فوائدهِ الجمّة

ومع اهتمام بيوس العاشر بكل هذه الاعمال الخطيرة تراهُ لا ينسى رعاية المؤمنين وترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة. فانّهُ كرّر غير مرّة رغبتهُ في مواترة المسيحيين للمناولة والمواظبة على الاسرار المحيية وقد سهّل الامر على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم ومنح الغفارين على المتروّين وحضّ الرعاة على اقامة ثلاثيّات استعداديّة لعيد القربان الاقدس

ومما لا يزال صداهُ يتردَّد على مسامعنا منذ خمسة اشهر ذكر الحفلات العظيمة التي امر البابا بعقدها اكراماً للقديس يوحنا فم الذهب بنسبة تذكار وفاتهِ المئوي . (اطلب المقالة التي في اوَّل هذا العدد من المشرق) .

وكذلك ابتدأت مظاهر الافراح تنتشر في العالم الكاثوليكيّ منذ اليوم ١٨ من شهر ايلول الماضي احتفاء بيوبيل كهنوت قداسة الحبر الاعظم الحسينيّ فيُختم بروْنق عظيم في ١٦ تشرين الثاني من العام المُقبل . ولا شكَّ انَّ الكاثوليك في هذه المدّة لا يدَّخرون وسعهم في اكرام ابي الآباء ورئيس الاحبار وقد اخذ الشرقيُّون يجارون في هذه الحلبة اخوتهم الغربيين كما ثبت للذين اطَّلعوا على رسالة غبطة بطريرك الكلدان يوسف عمانوئيل الثاني (في البشير في غاية كانون ١)

امَّا علائق الكرسيّ الرسوليّ مع الدول فهي بالاجمال مرضيَّة مستجادة لا يعكّر أديم سمائها الَّا غمامة امور فرنسة وسُنَّتها المجحفة بحقوق الكاثوليك . لكنَّ بيوس العاشر لا يدع فرصة يجاهر فيها من مودّتهِ لفرنسة ولشعبها فانَّ قداسته تبرَّع بمبلغ مائة الف فرنك لمكتب باريس الكاثوليكيّ لانشاء فرع جديد في تعليمهِ اي تفنيد الاضاليل العصريَّة . وكذلك ادخل في سلك الكرادلة اسقفين فرنسويين وهما السيّد اندريو رئيس اساقفة مرسيلية والسيد لوسون رئيس اساقفة ريمس اختارهما لهذه الرتبة الاثيلة مع السيّدين غسباري ودهلاي الايطاليين

قد اشرنا الى حسن العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ والدولة العليَّة ويضاف الى ما سبق قولهُ ما صار للبطريرك الاورشليميّ الجديد غبطة السيد كاماسي من الاحتفاء من رجال الحكومة السنيَّة عند قدومهِ الى القدس الشريف في آذار الماضي . هذا فضلًا عن شارات المظمة والاكرام التي تظاهرت بها نحو شخصهِ الكريم كلّ الطوائف والاعالين

وكذلك بقيَّة الدول فانها مجمعة على تعظيم الدين الكاثوليكيّ متسابقة في اكرام رئيسهِ الاعظم . وقد تبيَّن الامر بجلاء في المؤتمرات الكاثوليكيَّة السابق ذكرها فانَّ الملوك ورؤساء الدول انتهزوا تلك الفرصة لاعلان رضاهم عن تصرُّف الكاثوليك ديناً ودنيا . ويمتاز ملك اسبانية في اجلالهِ للحبر الروماني . ولمَّا ولد ابنهُ البكر امير استورية لم يرضَ لهُ غير الاب الاقدس شبيناً في عمادهِ الذي تمَّت حفلتهُ في ١٧ ايَّار

وفي روسيَّة تحسَّنت احوال الكاثوليك منذ أُعلنت رسميًّا حرّية الاديان فجاهر بالكثلكة ٢٣٠،٠٠٠ من الروثان المتبعين للطقس اليوناني في ابرشيَّة شلم وحدها وكذلك ارتدَّ منهم ٢٠٠٠٠ في بلاد ليثوانية وروسيَّة المعروفة بالبيضاء. وبلغ عدد المرتدّين الى الكثلكة في بقيَّة انحاء روسيَّة ٧٥٠،٠٠٠ بينهم الاعيان والاشراف والكهنة والرهبان. وقد رخصت الدولة الروسيَّة لبعض الرهبانيَّات الكاثوليكيَّة ان تسكن تخومها بعد نفيها منها. فاخذت هذه الجمعيَّات تشيّد اديرةً وتشتغل بالمواعظ والرياضات وكافَّة الاعمال الخيريَّة. وانَّما شاب صفاء هذه الافراح سوء تفاهم بخصوص رئيس اساقفة فلنا الكاثوليكيّ الذي نُسبت اليهِ زورًا معاكسة الحكومة لكنَّ الامل معقود بازالة هذه العثرة قريبًا

وفي ايطالية ايضًا قد لحظ السياسيُّون انَّهُ حصل بعض التقرُّب بين بلاط الكويرينال والفاتيكان رغمًا عمَّا جرى في رومية من المظاهرات العدائيَّة التي جاهر بها بعض اصحاب الاشغاب. والدليل على ذلك انَّ الجنود الايطاليَّة اخذت سلام الكردينال لورنزلي عند دخولهِ الى لوكا مركز رعايتهِ. وأَدلُّ من ذلك انَّ الحكومة الايطالية ارسلت مدرَّعة لمشاركة الكاثوليك في الاعياد المقامة لاكرام القديس فرنسوا دپول وانَّ الكردينال صار لهُ استقبال حافل بهيج. وقد نقلت الجرائد هذين الخبرين وبنت عليهما الاقاويل المختلفة حتى انَّ الامر وصل الى ندوة النُدوبين فقام وزير البحريَّة والسيور جيوليتي ودافعا عن الحكومة ببلاغة اوجبت ثقة الجميع واستحسانهم

وان تخطَّينا الى الامم التي هي خارج اوربَّة وجدناها مرتبطة مع الحبر الروماني باواخيّ الحب والحفاوة. ففي ٢٦ حزيران قبل البابا الوفد القادم من العجم من قبل الشاه الجديد فسلَّم الحضرة البابويَّة رسالة بخط يد مولاه

ومثلهُ الميكادو امبراطور اليابان فانهُ ارسل نقابةً يرأسها السيور اوشيد الى الحبر الاعظم بشكر قداستهُ على تنفيذهِ السيد اوكونل الى توكيو ليمثل الكرسيّ الرسوليّ فيها

وصار في رومية للوفد الحبشيّ استقبال شائق. وكان هذا تعزيةً عظيمة لقلب الحبر الاعظم لانَّ الامير مشاشيا رئيسها قرأ في المواجهة الخاصَّة التي منحهُ ايَّاها البابا عريضةً باسم سيدهِ كان ضمَّنها ارفع الألقاب واشرف الاسماء الدالَّة على اعترافهِ بالحبر

الروماني كخلف للقديس بطرس هامة الرسل وفي نكافة المسيحيين. فاجاب بيوس العاشر على هذا الخطاب بكلام انبق شكر فيه امبراطور الحبشة على حسن نيَّاته ومجاملته للمرسلين الكاثوليك في انحاء مملكته

وقد وجد بيوس العاشر في تعزُّز الكثلكة في الولايات المتّحدة ما ضاعف سرورهُ. ففي هذه السنة نبذ قوم من وجهاء الاميركيين الشيع البروتستانية واعتنقوا الدين القويم نخصُّ منهم بالذكر اسقف مقاطعة اوريغون مع امرأته وبنيه التسعة. والدكتور مَرشال (Marschall) رئيس كنيسة القنتار. والاستاذ المتضلّع بالعلوم اليونانية وست (Wisth) احد معلمي كلية كولية. والسيد هال (Hall) رئيس شركة الطباعة في شيكاغو. ثمَّ مدير السكك الحديديَّة المنسوبة الى البحر الهادي. ثمَّ ابنة الاميرال ورد (Wirde)

وممَّا يستحق الذكر انَّ رئيس بلديَّة انديانوبوليس البروتستانتي رحَّب باعضاء شركة الاتحاد الكاثوليكي لمَّا عقدوا مؤتمرهم الاخير في مدينته وخطب فيهم خطبة رسمية بليغة اوضح فيها باسمه وباسم الحكومة عن احترامه الخاصّ واعتبار ذوي الامر « لتلك الكنيسة التي يحقّ لها ان تتباهى بمبادئها الصحيحة وسموّ قدرها ورأسها الجليل الذي يستحقّ كلَّ اكرام وتبجيل »

ومن دلائل اعتبار حكومة الولايات المتّحدة للكثلكة انَّها أمرت بأَن تُنقل على نفقتها من فرنسة الى اميركا الف راهبة من راهبات المحبَّة كأنَّها احتجَّت بذلك على ما يلقاهُ اولئك ملائكة الرحمة من العنف والفظاظة من اعداء الدين في وطنهم. وكذلك كاثوليك فيلادلفيا ارسلوا الى الحبر الاعظم رقيماً اقاموا فيه الحجَّة على ما اصاب اخوتهم الكاثوليك في فرنسة من الظلم وسوء المعاملة

وفي هذه السنة انشأت لها حكومة بلاد شيلي سفارة لدى الكرسي الرسولي. فصار بها تعويض عن سفارة بوليفية التي أُلغيت بمساعي بعض الاشرار

ولسنا ننسى اجتماع الكاثوليك في اوسترالية في آذار بتصدُّر الكردينال موران رئيس اساقفة سيدني فانَّ الخطباء قد بيَّنوا ما اصابتهُ هناك الكنيسة من التقدُّم العجيب ولاسيما في السنين الاخيرة فانَّ اسم الكاثوليك كاد يكون مجهولاً قبل مئة سنة وهم

اليوم الف الفٍ ومئة الف يسوسهم كردينال ورئيسا لساقفة و١٤ اسقفاً و١٤٠٠ كاهن وقس على ذلك بقيّة مشروعاتهم وكلها يُقضى منها بالعجب

وكذلك نالت اعمال المرسلين في هذه السنة نموًّا عظيماً في كل اقطار المعمور في الصين واليابان وجهات افريقية وجزيرة مدغسكار وجزائر اوقيانية ولم يقصروا اهتمامهم بالنفوس بل انشأوا ايضاً عدَّة منشآت خيريَّة كمستشفيات للمرضى والصابين بداء النُّوام ومياتم للقطاء ومآوى للبرص فضلًا عن فتحهم للمدارس العديدة . ومع كثرة عددهم لا يكفون للقيام باعمالهم فيطلبون حصَدة من ربّ الحصاد ليساعدوهم اثابهم الله وكثَّر امثالهم (لهُ بقيَّة)

كتابات شرقيَّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابيَّة في المكتب الشرقي

استلفتنا انظار القرّاء في بعض اعداد سنتنا المتصرمة (ص ٦٧٣ وما يليها ثمَّ ص ٧٦٤) الى ما وُجد حديثًا من الكتابات الآراميَّة منها على البردي ومنها على الخزفيَّات(١ في جزيرة اليفانتين وفي اسوان. واشرنا هناك الى خطر تلك الاكتشافات وعظم شأنها لمعرفة التاريخ الشرقيّ ولدرس الخطوط الساميَّة القديمة مع ما يُستفاد منها لفهم الاسفار المقدَّسة وتأييد صحَّتها . وقد ختمنا مقالتنا بأمنيَّةٍ ورجاء عاقدين الامل على قرب اكتشاف بعض نصوص من الكتب المقدَّسة مكتوبة بالخط الآرامي القديم يرتقي عهدها كبقيَّة الكتابات الى القرن الرابع او الخامس قبل المسيح . ولا يخفى ما يترتَّب على مثل هذا الاكتشاف من المنافع اذ اقدمُ ما يُعرف اليوم من نصّ الكتاب المقدَّس في العبرانيَّة لا يتجاوز القرن التاسع او على الاكثر القرن الثامن بعد المسيح

انَّ رجاءنا هذا لم يتحقَّق بعدُ الَّا انَّ الاثريين قد توفَّقوا الى اكتشافات أخرى من شأنها ان تحيي آمالنا فضلًا عن ان تخمدها . وفي الاسطر التالية شاهد على قولنا . ولا

---

١) أصلحْ ما ورد في الصفحة ٦٨٣ من التصحيف في السطر الاخير قبل الحاشية فطُبع هناك « كتابة حجريَّة » والصواب « خزفيَّة » (ostraca)

نشك في انَّ قرّاءنا الكرام يتلقّون بالشكر ما نرويه لهم نقلًا عن المجلّات العلميَّة الخاصَّة التي لا يتيسَّر لهم الحصول عليها

ممَّا اثبتنا سابقًا انَّ العلّامة كلرمون غانو احد كبار المستشرقين في عهدنا لمَّا بلغهُ نشر الكتابات الآراميَّة التي ابتاعها روبرت موند (Rob. Mond) وجعلها في متحف مصر عرضَ نفسهُ على جماعة الفنون والكتابات في باريس لترسلهُ الى اسوان وضواحيها حيث وُجدتْ تلك الكتابات لعلَّهُ يكتشف آثارًا غيرها من جنسها . فلبَّت الجماعة الى دعوتهِ وافرزت لهُ لهذه الغاية مبلغًا من المال

فأبحر الى مصر ولم يألُ جهدًا في معرفة المكان الذي استُخرجت منهُ تلك الآثار لأنَّ اقوال الباعة كانت ملتبسةً متباينة فبعد التفتيش والتنقيب تحقَّق الاثريُّ المومأ اليهِ بأنَّ تلك الكتابات لم تُكتشف في اسوان لكن في جزيرة اليفانتين كما سبق اليهِ حَدْسهُ بدرس الكتابات المنشورة حيث تكرَّر اسم تلك الجزيرة المدعوَّة يب (יב) في الآراميَّة وفي اليونانيَّة IHB كما وردت في احدى الكتابات : وكان في الوقت عينهِ اوفدت جمعيَّة العلوم والمتاحف في برلين المسيو اوتُّو روبنسوهن (O. Rubensohn) لمراقبة تلك الكتابات والبحث عنها

واليوم قد وقفنا على نتيجة البعثتين الفرنسويَّة والالمانيَّة . اما بعثة المسيو كلرمون غانو فانَّ خلاصتها قد طُبعت في نشرة جمعيَّة الكتابات والفنون (Comptes rendus de l'Acad. des. Inscript. 1907, p. 201-203) فدوَّن هناك قرار اعمالهِ ومكتشفاتهِ وقد أطلعنا القرَّاء في وقتهِ (المشرق ١٠ : ٧٦٤) على جملة هذه المقالة . وكان رافق المسيو كلرمون غانو في حفريَّاتهِ تلميذهُ القديم في باريس المسيو كليدا (G. Clédat) احد الاثريين المصريين فاتَّضح لكليهما كما وقف عليهِ ايضًا المسيو روبنسوهن من جهتهِ انَّ الكتابات البرديَّة المبيعة حديثًا استُخرجت من جزيرة اليفانتين ليس من غيرها . ومن ثمَّ قصرا العمل على تلك الجزيرة وتوليا الحفر فيها

وكان شغل العَمَلة بادئ بدء شاقًّا عنيفًا لأنَّ جزيرة اليفانتين المعروفة اليوم بجزيرة اسوان صغيرة الارجاء . كثيرة الردوم والاطلال ليس فيها شيء يستدعي نظر السائح الَّا اكوام من القحوف المكسَّرة والخزفيَّات وقطع اللبن المجفَّف بالشمس ممَّا لا يؤمل منهُ

كبير منفعة. وفي الجزيرة علاوةً على ذلك قريتان حديثتان تشغلان مكانًا كبيرًا منها على انَّ بعض الآثار كانت تدلُّ على موقع مدينة «يب» في تلك الجزيرة اخصُّها بعض الاخربة التي تُرى في طرفها الجنوبيّ. فبعد البحث الطويل توفَّق اخيرًا صاحبا الحفريَّات الفرنسويَّان باكتشاف آثار جليلة اخصُّها تمثالان من الحجر الاسود اللامع المعروف بالديوريت (diorite) يرتقيان الى عهد تحوتمس الثالث وعلى كليهما كتابات غاية في الخطر. ثم بقايا معبد قديم كانت تزيّنهُ مسلَّات صغيرة فيهِ مدافن لكبوش من معبودات المصريين كانوا حنَّطوها باعتناء كلّي وجعلوها في نواويس من الحجر المحبَّب الصلب. فكان لهذا الاكتشاف رنَّة عظيمة فعدَّهُ العلماء بمثابة اكتشاف ماريت باشا لهيكل سيرابيس في سقَّارة حيث وُجدت مدافن ثيران ابيس المقدَّسة فشاع بذلك اسم ماريت في عالم العلم. امَّا الكبش فكان رمز الاله خنوم او خنوب معبود اليغانتين وحيوانهُ الخاصّ بهِ. وسترى قريبًا في وصفنا للآثار البرديَّة الجديدة ذكرًا لهذا الاله

على انَّ هذه الاكتشافات مهما عظم شأنها لم تكن لتحقق اماني المسيو كلرمون غانو الذي كانت غايتهُ قبل كلّ شيء وجود آثار آراميَّة. فما كان ظنُّهُ ليخيب في ذلك ايضًا فانهُ بعد البحث توصَّل اخيرًا الى اكتشاف الدفائن المطلوبة فوقف على ١٢٤ قطعة من الخزفيَّات على وَجهَيْ اكثرها كتابات في اللغة والقلم الاراميَّين سطَّرها في القرن الخامس قبل المسيح قوم من اليهود المستعمرين في تلك الجزيرة. وقد بيَّنَّا لقرَّائنا في مقالتنا السابقة عن بعض الآثار البرديَّة المكتشفة في مصر انَّ كاتبيها من يهود تلك المستعمرة عينها. فثبت بذلك لدى العلماء انَّ في هذه الجزيرة يؤمَّل اكتشاف آثار اخرى لتلك المستعمرة فان لم يكن هيكل الرب الذي اقامهُ فيها اولئك اليهود او نسخة من توراتهم فعلى الاقلّ كتابات جديدة تزيد علمنا باحوالهم. وكانت نهاية حفريَّات المسيو كلرمون غانو تلك الدفعة بعد اربعة اشهر تامَّة

امَّا بعثة المسيو روبنسوهن فقد نشر تفاصيلها في الاشهر الاخيرة العلَّامة الشهير ادوار ساخو (Ed. Sachau) احد ائمَّة مكتب برلين في نشرة جمعيَّتها العلميَّة (١

١) اطلب مقالتهُ في عدد ٣٧ تموز ١٩٠٧

Ed. Sachau : Drei aramaeische Papyrusurkunden aus Eléphantine. *Abhandlungen d. koenigl. preuss. Akad. d. Wissenschaft.* 25 *Juillet*, 1907.

مع تعريف ثلاث كتابات آراميَّة مكتشفة في تلك البعثة. وقد تلطَّف جناب الكاتب فارسل الينا منها نسخةً نشكرهُ عليها. وها نحن نقرّر هنا مُجمل محتويات هذه المقالة

يُستفاد منها اولًا انَّ الاستاذ روبنسوهن كان قد اجتمع بالمصري الذي باع المسيو موند (Mond) الكتابات البرديَّة السابقة فاعلمهُ موضع اكتشافها ودلَّهُ على نقطة معلومة في جنوبيّ جزيرة اسوان في غربي اخربتها التي هناك حيث المسيو روبنسوهن اكتشف كتابات بَرْديَّة يونانيَّة (شباط ١٩٠٦). ثم عاد المسيو روبنسوهن في السنة التالية واستأنف الحفر في المكان المعيَّن ووافق عملهُ عملَ المسيو كلرمون غانو في الوقت ذاتهِ ودون تواطؤ بينهما. وكانت البعثتان تشتغلان لغاية واحدة تتجاريان في العمل لا يفصل الواحدة عن الاخرى الَّا بضعة امتار بل اقتربتا حتى لم يفصل بينهما سوى حبل ممدود. امَّا نتيجة البعثة الالمانيَّة فكانت كنتيجة البعثة الفرنسويَّة لأنها تحققت مثلها بأنَّ المستعمرة اليهوديَّة في القرن الخامس قبل المسيح كان مقامها في هذا المكان من الجزيرة كما أنها عثرت على بعض آثار مكتوبة على البردي لها عظيم الشأن

واوَّل هذه الآثار كتابةٌ على قطعة من البردي هي من اكبر الكتابات المكتشفة الى يومنا واتمها حسنًا وصونًا طولها ٥٠ سنتمترًا في عرض ٣٠ س تتضمَّن ٣٠ سطرًا بقلم بديع فلا تستوجب قراءتها كبير عناء. وهي الكتابة التي توجَّهنا تعريبها مع اضافة بعض شروح تاريخيَّة اليها (١ ننقل معظمها عن مقالة الدكتور ساخو

والكتابة البَرْديَّة الثانيــة هي لحسن الخطّ نسخة أخرى من المخطوط السابق. يُستفاد منها بعض روايات مهمَّة لاصلاح نصّ الكتــابة المذكورة مع اختلافات لغويَّة ذات بال وقد راجعنا هذه الكتابة في ترجمة الكتابة الاولى فاخذنا عنها بعض الفوائد. الَّا انَّ هذه النسخة غير كاملة ينقص منها اولها ثمَّ ذهب نحو خُمسها في الهامش

أما الكتابة الثالثــة فانها قصيرة جدًّا لا تحتوي غير ١١ سطرًا لكنَّها مهمَّة جدًّا لعلاقتها بالكتابتين السابقتين كما سترى

واوَّل هذه الكتابات قد رُسمت صورتها فيسهل مراجعتها لمعرفة صحَّة شرحها

---

١) ويقضي علينا ضيق المكان بالاضراب عن تصويرها او رسمها بالحرف العبرانيّ وكتابتها مثل كتابة الاثر الذي اثبتناهُ في مقالتنا السابقة. وكذلك النصّ محكم لا يحتاج الى اصلاح

أمّا الكتابتان الثانية والثالثة فلم يتّهمها الدكتور ساخو بالتصوير فلا يمكن الرجوع الى الاصل وان كنّا لا نشكّ في امانة المترجم وحسن قراءته

واعلم انّ المسيو روبنسوهن وقف على كتابات اخرى غير السابقة بعضها يونانيّة مكتوبة على البردي والبعض الآخر آراميّ اللهجة كُتب على قطع خزفيّة كبيرة لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . امّا الخزفيّات فقد وُجدت على مقربة من معبد الاله خنوم بجوار المكان الذي فيه اكتشف المسيو كلرمون غانو قطعة الخزفيّة التي نوّهنا بها

فتبيّن جليًّا من هذه الاكتشافات المتوالية (اوّلا) انّ الكتابات التي حصل عليها سابقًا المسيو موند انّما اكتُشفت في هذا المكان عينه . (ثانيًا) انّ من هناك ايضاً صدرت كتابات أُخرى آراميّة خزفيّة نُشرت بالطبع وقيل انّ اصلها من اليفانتين (١ . فلا بدّ من نسبتها الى المستعمرة اليهوديّة التي كانت مقيمة هناك . (ثالثًا) واخيرًا انّ الكتابة الآراميّة الاولى التي نشرها بالطبع العلّامة اوتنغ (Euting) فوصفناها في المشرق (٨٦١:٦) وهي تتضمّن ذكر مدينة «يب» والاله خنوم ومساوي كهنته مصدرها من الجزيرة ذاتها ومن المستعمرة عينها (٢ . وكانت تلك الكتابة بيعت في الاقصر ولم يعرف مكان اكتشافها . واليوم لا يبقى في اصلها ريب

وخلاصة القول قد ظهرت بهذه المكتشفات العلاقة بين تلك الآثار الآراميّة الجليلة وبرزت الى الوجود صفحةٌ عزيزة من تاريخ بني اسرائيل بعد جلائهم . وما يزيد الامر قدرًا انّ معارفنا عن ذلك العهد كانت اعزّ من بيض الانوق لا نكاد نعلم شيئًا من امر اليهود منذ عهد نحميا وعزرا الى ملك الاسكندر فجاءت هذه الكتابات تسدّ بعض الخلل في ذلك

وها نحن نورد هنا ترجمة الكتابة الاولى بكل ضبط مشيرين الى كلّ سطر منها

---

١) تجد جدول كلّ هذه الدقائق المنشورة في كتاب الاستاذين كولي وسايس الذي سبق لنا وصفهُ (المشرق ١٠ : ٦٧٢ – ٦٨٣) بقلم العلّامة سيمور دي ركتي (Seymour de Ricci)

٢) هذا الاثر كان طُبع اوّلا في احد مجاميع المكتب العلميّ في فرنسة (Mémoires présentés par divers Savants à l'Acad. des Inscriptions, 1903, t. XI. 2e partie). وهذه الكتابة قد اعاد العلّامة سايس وكولي طبعها مع الاشارة الى ما كتب فيها من المقالات

بالعدد وقد قطعنا بعض الفقرات عن اخواتها زيادةً للايضاح امّا في الاصل فالاسطر لاحقة بعضها :

(١) الى سيدنا بجوهي (בגוהי) حاكم يهوذا من عبيدك يدونيه وزملائهِ الكهنة الساكنين في حصن يب سلام (٢) فليُفِض عليك ربُّنا إله السماء نعمهُ في كلّ حين وبملك من ذوي الحظوى بازاء داريوس (وفي الاصل درويوش דריהוש) الملك (٣) والاسرة الملكيَّة الف مرَّة ازيد من الان وينحك حياةً طويلة . دمتَ في الهناء والصحةُ في كلّ حين

(٤) امَّا بعد انَّ عبيدك يدونيه وزملاءهُ يعرضون ما يلي : في شهر تموّز من السنة ١٤ لداريوس الملك بعد ان ارشم (ארשם) (٥) رحل قادماً الى الملك قد دبَّر كهنةُ الاله خنوب (חנוב) الذين في حصن يب مكيدةً مع ويدرنج (וידרנג) المدبر هنا (٦) قاصدين ان يهدموا من حصن « يب » هيكل (אגורא) اله (יהו) المقام فيهِ . ثمّ ان ويدرنج ذاك (٧) اللعين انفذ رسائل الى نفَين (נפין) ابنهِ الذي كان قائداً للجند في حصن اسوان (סון) قائلًا لهُ : « عليك بالهيكل الذي في يب (٨) الحصن فاهبطوهُ » . وعليهِ اخذ نفَين قوماً من المصريين وغيرهم من الجند فقدموا الى حصن يب بعدّاتهم (٩) ودخلوا الهيكل المذكور فأهبطوهُ الى الحضيض وحطّموا ما كان فيهِ من الاعمدة الحجريّة . وكذلك الابواب (١٠) الحجريَّة التي كانت سبعة في هذا الهيكل وكلّها بالحجارة المنحوتة فانّهم اهبطوها واقتلعوا مصاريعها ورزّاتها (١١) وكانت تلك المصاريع ورزّات من النحاس امّا سقفها كلّهُ الذي كان من خشب الأرز وكذلك اخشاب الجدران وبقيَّة المحتويات (١٢) احرقوها كلها بالنار . ثم نهبوا كلّ آنية الذهب والفضّة وكل ما كان في الهيكل (١٣) واستملكوهُ

منذ ايّام ملوك مصر كان آباؤنا شيَّدوا هــذا الهيكل في حصن يب ولمَّا دخل مصر كنبوزي (כנבוזי) (١٤) وجد هذا الهيكل مشيَّداً فأخربت كل هياكل آلهة المصريين اما هــذا فلم يمسَّهُ قطّ احدٌ بأذى (١٥) فلمَّا فعلوا ذلك لبسنا المسوح نحن ونساؤنا واولادنا وعمدنا الى الصوم والصلاة الى الربّ (יהו) اله السماء (١٦) الذي انتقم لنا من هذا الكلب ويدرنج فنزعوا الاغلال من رجليهِ (١) وفُقِدت كل الكنوز التي ربحها . وكذلك كل (١٧) الذين اضمروا الشرّ لهذا الهيكل فانّهم قُتلوا جميعهم وفُزنا بهم

وكنّا قبل ذلك حينا كان هذا الشرّ (١٨) لاحقاً بنا ارسلنا عريضة الى مولانا والى يهوحنّان كبير الاحبار وزملائهِ كهنة اورشليم والى اوستان (אוסתן) اخيهِ (١٩) الذي هو (يدعى) عنَني (ענני) والى اعيان اليهود فلم يوجّهوا الينا رسالة (اي جواباً) البتّة

وايضاً منذ شهر تموز من السنة ١٤ لداريوس الملك (٢٠) الى يومنا هذا لا نزال لابسين المسوح وصائمين . وقد اضحت نساؤنا كالارامل ولا ندّهن بالزيت (٢١) ولا نشرب خمراً . ومذ ذاك الوقت ايضاً الى السنة ١٧ لداريوس الملك لم تُقرَّب تقدمة البتّة لا طعام ولا بخور ولا ذبيحة (٢٢) في هذا الهيكل

---

١) هذه العبارة غريبة مبهمة والمرجح ان المقصود بها « قد قادوه الى الموت »

وعليه فانَّ عبيدك يدونيه وزملاءهُ اليهود وكلُّهم اصحاب يب يعرضون ما يأتي (٢٣) ان راق لديك سيدنا ان توجّه قلبك الى هذا الهيكل (فترخص لنا) بان نُعيد بناءهُ لانَّ ذلك لا يُسمَح به لنا. تعطَّف على اصحاب (٢٤) نعمتك ومحبيك الذين هنا في مصر. فاتُرسَلْ اليهم من قِبلك رسالة بخصوص هيكل الرب (יהו) (٢٥) ليُستأنف بناؤهُ في حصن يب كمثل ما كان مشيَّدًا في الماضي. فتُقدَّم تقادم الطعام والبخور والذبائح (٢٦) على مذبح الالٓه الرب (יהו) باسمك ونُصلّي لاجلك في كلّ حين نحن ونساؤنا واولادنا واليهود (٢٧) كلهم الذين هنا إن تمكَّن هؤلاء من تكرار بناء الهيكل. وسوف يكون لك حصّة امام الربّ (יהו) اله (٢٨) السماء من كل رجل يقدّم له قربانًا او محرقة من قيمة (١. . . . اما الذهب (٢٩) فقد ارسلنا عنهُ المعلومات سابقًا

وكذلك كنَّا كتبنا رسالةً اوضحنا فيها كل الامر باسمنا الى دليه (דליה) والى شلميه بن سنابلط (סנאבלט) حاكم السامرة

(٣٠) ولم يعلم ارشم شيئًا من كل ما جرى لنا

في ٢٠ مرحشون (מרחשון) السنة ١٧ لداريوس الملك

*

هذا هو الاثر الجليل الذي يقدّره قدرهُ كلّ من يطلع عليه. فانَّ الذي يتصفّحهُ في نصّهِ الاصلي يخال له بأنه يقرأ فصلًا من كتاب عزرا او من سفر دانيال للشبه التام بين لغتهِ الارامية وبين لغة ذينك السِفرين. وقد حِدْنا في تعريبنا قليلًا عن ترجمة المسيو ساخو الالمانيَّة وسنبين في فرصة أخرى سبب الاختلاف. وانَّما تبعنا في بعض الاشياء اصلاحات المسيو كلرمون غانو وترجيحاتهِ التي دوَّنها على عجلة في نشرتهِ الموسومة بمجموع آثار شرقيَّة (Recueil d'Archéologie Orientale, t. VIII, p.128-132)

فما يفيدنا بهِ هذا البَرْدي بنوع قطعي انَّ لفظة اجوره (אגורא) التي وردت في آثار روبرت موند (المشرق ١٠: ٦٧٨ — ٦٧٩) تدلُّ حقيقةً على هيكل الربّ الذي شيَّدتهُ المستعمرة اليهوديَّة المقيمة في جزيرة اسوان. وكان العلماء لا يعرفون قبلًا عهد الهيكل المذكور فاتانا الاثر الجديد بمعلومات في منتهى الاهميَّة لتاريخ بني اسرائيل. يؤخذ من السطرين ١٣ و١٤ انَّ هذا الهيكل كان مبنيًا منذ عهد ملوك مصر اعني قبل السنة ٥٢٥ ق م وكان قمبيس غلب فيها بساميك الثالث وجعل القطر المصري اقليمًا للفرس. وياحبَّذا لو علمنا متى قدمت الى اليفانتين المشائر اليهوديَّة التي ابتنت لربّ اسرائيل هذا

---

١) الظاهر انَّ الاصل هنا قد تشوَّه فلا نأخذ على نفسنا تعريبهُ

الهيكل أأتت اليها في زمن خراب اورشليم على يد نبوكدنصر اعني نحو سنة ٥٨٨ قبل الميلاد او قبل ذلك العهد بعد افتتاح الاشوريين للسامرة اعني بعد السنة ٧٢٣ والرَّجيح عندي انَّ قدومهم الى مصر كان في زمن خراب الهيكل نحو سنة ٥٨٨ ولولا ذلك لأتسع صاحب الكتابة الآرامية في ذكر قِدَم هيكل اليفانتين

وما لا ريب فيه انَّ في عهد قمبيس لمَّا فتح هذا الملك مصر وسار بجيوشه زاحفاً الى جهات الحبشة لم يمسّ هيكل اله اسرائيل على خلاف صنعهِ بهياكل آلهة مصر. وهذا يوافق كل الموافقة مداراة الدولة الفارسيَّة لبني اسرائيل كما اثبتها عزرا في سفريهِ. وكلّ يعلم ان كورش سلف قمبيس ومنشئ دولة الفرس القديمة هو الذي رخَّص لليهود الذين جلاهم البابليُّون الى بابل بان يعودوا الى اليهوديَّة ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم وقد تمَّ ذلك على عهد داريوس الاول خلف قمبيس في السنة ٥١٥–٥١٦ ق م

فلا بدع اذن انَّ في ذلك الوقت وقبلهُ بسنين كان لبني اسرائيل هيكلان يعبدان فيهما الرب إلههم اعني هيكل اورشليم وهيكل اليفانتين وكان بالطبع هذا الهيكل الآخر منوطاً بهيكل اورشليم حيث كان يقيم كبير الاحبار

وكنَّا وددنا لو نعلم من ايّ عهدٍ كانت تُقدَّم لهذا الهيكل التقادم والذبائح وكلّ العبادات الجارية عند اليهود التي يُشير اليها الأثر الجديد أكان اليهود باشروا بذلك منذ اقامتهم في مصر. والاسفار المقدسة تعلمنا على خلاف ذلك انَّ هذه الرُّتب الدينيَّة كانت مبطلة بين اليهود المجليّين الى بابل وكانت قصوى رغبتهم في الرجوع الى فلسطين ليجدّدوا فيها نواميس الرب الشرعيَّة على مألوف عاداتهم السابقة لجلاء بابل. والغالب على ظنّنا انَّ يهود اليفانتين لم يبنوا هيكلهم في اوَّل الامر الَّا ليقيموا فيهِ الفرائض الدينيَّة كما في اورشليم فباشروا بذلك منذ عهد ملوك مصر. لا بل نرجّح كون بني الجلاء في بابل لم يهملوا رُتبهم الدينيَّة التي ورثوها عن آبائهم ولعلَّهم اتَّخذوا لذلك هيكلًا موقتًا تمّموا فيهِ مراسيم دينهم عند ما كان يتساهل بالامر ملوك بابل. لكنَّ ذلك التساهل لم يُسمح بهِ تمامًا قبل عهد الفرس. امَّا في مصر فانَّ بني اسرائيل نالوا من ملوكها الوطنيين الرخصة بتشييد هيكل في اليفانتين ومن المحتمل انَّ ملوك مصر فعلوا ذلك لاسباب سياسيَّة ولا يبعد انَّهم هم الذين دعوهم الى ارض الفراعنة في زمن الحروب ولاسيما حروب البابليين لفلسطين ومصر في عهد نبوكدنصَّر. فان صحَّ

ذلك تأيَّد ما قلناهُ سابقًا في تاريخ بناء هيكل اليفانتين اعني اوائل القرن السادس قبل المسيح اذ لا يقبل العقل انَّ بني اسرائيل قبلوا دعوة ملوك مصر دون ان يشترطوا عليهم اتمام واجباتهم الدينيَّة علانيةً كما في بلادهم (١. ولكنَّنا نعلم ايضًا انَّ كهنة الآلهة وعامَّة الشعب في مصر لم يكونوا ليرضوا بهذا التساهل الملكي. فكان تغورهم سبب ثورتهم (٢

ومن عجيب ما ورد في كتابتنا الجديدة اسم اله اسرائيل الذي يُدعى غير مرَّة يهو اله السماء (מרא אלה שמיא). ولمَّا كان الاثر رسالةً من اليهود الى حاكم الفرس بجوهي فلا غرو انَّ هذا الاسم كان شائعًا عند الفرس معروفًا عندهم. ولعلَّ المصريين من كهنة وعامة لم ينقموا على اليهود الَّا لكونهم كانوا يلقبون إلههم بهذا اللقب الجليل. واخطر من ذلك انَّ هذا الاسم العظيم قد ضمَّنهُ كورش الملك في التقرير الذي كتبهُ لبني اسرائيل لمَّا منحهم الرخصة ليعودوا الى اورشليم ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم كما هو مدوَّن في سفر عزرا الاول (١:١—٤) قال كورش: «جميع ممالك الارض قد اعطانيها الربُّ اله السماوات (אלהי השמים) واوصاني بان ابني له بيتًا في اورشليم(٣». وقد ورد هذا الاسم في القسم الارامي من سفر دانيال (٢:١٨—١٩) على الصورة التي تراها في هذا الاثر الجديد. وكان السوريون قد اتَّخذوا هذا الاسم لاحد آلهتهم الاله هدد منذ القرن التاسع قبل المسيح فدعوهُ بعل السماء (בעל שמין) فاراد اليهود ان

١) اعلم انهُ ليس بالامر اليسير (لقلَّة ما لدينا من الآثار القديمة) تحديد زمن مجيء اليهود الى جزيرة اليفانتين أكان ذلك قبل خراب اورشليم او بعد وانَّما افادنا ارميا النبي (ف ٤٢ و٤٣) انَّ فرقةً من اليهود وكان هوشعيم نزلوا مصر بعد خراب اورشليم بزمن قليل. وافادنا ايضًا التيَّان ارميا (٤٦:١) واشعيا (١١:١١) انَّ بعض اليهود استوطنوا الصعيد والنوبة كما اخبرنا الكاتب ارستاوس (ed. Wendland, 13) انَّ بعض المستعمرين من اليهود تغلغلوا القطر المصري في عهد بسمَّاتيك الثاني (٥٩٤—٥٨٩ ق م) وانَّ هذا الفرعون استأجرهم في جيشهِ في كبح فتنة الحبشة. فعلى رأيي آخر عهد لمجيء اليهود الى اليفانتين كان سنة ٥٨٩ وذلك مما يُعلِّل تساهل بسمَّاتيك مع هؤلاء الاجراء بان يقيموا لإلههم هيكلًا

٢) وكان العلماء قد ارتأوا هذا الراي بعد ان نشر الدكتور اويتنج كتابةً الارامية لكنَّ الامر كان مختبأً واليوم قد ظهر ظهورًا تامًا لا يُبقي من بعدهِ ريبًا لاسيَّما انَّ ويدرنج المذكور في اثرنا الجديد ورد ايضًا اسمهُ في الكتابة السابقة

٣) اطلب ايضًا سفر اخبار الأيام الثاني (٣٦:٢٣)

يخصّوا بهِ الاله الحقيقي دلالةً على انهُ يستحقّ وحدهُ هذا الاسم سواء كانوا سبقوا الى استعمالهِ او استعاروهُ منهم (لهُ تتمّة)

رسالة الخُجَنْدي في المَيْل وعَرَض البلد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذا اثر جديد من المجموع النفيس الذي وصفناهُ سابقًا (في المشرق ٩: ١٨–٢١) ونقلنا عنهُ عدّة مقالات فريدة كالرسالة في الآلات المتّسمة لمورسطس (٩: ٢١–٢٨) والرسالة في الآلة الزمّرة بنفسها لبني موسى (٩: ٤٤٤) والرسالة في المكحلة (١٠: ٨٦). وقد أُعجب المستشرقون بكل هذه الآثار الجليلة الخبيّة بعد دفنها وألحّوا علينا بان ننشر فصولًا اخرى من ذلك الكتاب الخطير. فتلبيةً لسؤلهم ها نحن نورد الأثرين الأوَّلين منهُ وهما رسالة الشيخ ابي محمود حامد بن الخضر المعروف بالخجندي (١ المتوفّى سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) التي عنوانها تصحيح الميل وعرض البلد. وكان الخجندي من كبار الفلكيين قد اصطنع آلةً رصديّةً دعاها بالسدس الفخري نسبةً لفخر الدولة بن بويه ونصبها في الريّ فكان يرصد بها الأميال وعروض البلاد فيعرّف ليس فقط درجاتها ودقائقها كما فعل الفلكيون من قبلهِ بل بلغ الى ضبط الثواني ايضًا وبذلك قدّم العلوم الفلكيّة ورقّاها ترقيةً تُذكر. وكان العلّامة ابداي سيديلو (٢ في مقالتهِ عن آلات الرصد عند العرب اشار الى آلة الخجندي ... عن ابي الحسن المرّاكشي لكنّهُ تأسّف على فقد وصفها وشرحها. فالمقالة التي ننشرها تسدّ هذا الخلل وهي للخُجَنْدي نفسهِ وليس احد ادرى بها منهُ ولعلّ هذه الالة هي التي حسّنها بعدئذٍ هبة الله ابن الحسين الاصطرلابي كما ذكر جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص٣٣٦). وقد سعينا في ضبط هذه النسخة على قدر الاستطاعة فانّ العثّ قد اكل بعض الفاظها فأعدناها الى اصلها لمّا امكننا ذلك وتركنا الباقي على علّاتهِ رجاء ان يصلحهُ احد العلماء على نسخة اخرى

---

١) نسبة الى خُجَنْدة مدينة على شاطئ سيحون في ما وراء النهر بينها وبين سمرقند عشرة ايّام

٢) اطلب مقالتهُ في الآت الرصد عند العرب Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 1re série, Paris 1844, Mémoire sur les Instruments astronomiques des Arabes, par M. L. Am. Sédillot, p. 1-229.

امّا الاثر الثاني فهو لفلكيّ آخر ذائع الشهرة وهو ابو الريحان محمّد بن احمد الشهير بالبِيْرونيّ المتوفّى على رأي ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢١) سنة ٤٣٠هـ (١٠٤١م) وكان من كبار ائمة العلم له في العلوم الفلكيّة قدمٌ راسخة كما تشهد له تآليفهُ التي طُبع منها جانب في انكلترة. والمقالة التي ثبتها هنا لا ذكر لها في جملة مصنّفاتهِ لتصرها وضعها لوصف آلة الخجندي للارَ ذكرهُ تعريفًا للسدس الفخري. والسدس (sextant) آلة تُقاس بها الزوايا وارتفاع الاجرام السماوية ومَيْل البلاد وعَرْضها ومسافات غيرها. ومعلوم انّ السُدس لا يزال حتى يومنا مستعملًا للرصد لاسيما عند ارباب البحر ترى صورتهُ في حاشية الصفحة (٦٦) وهذه المقالة كان الفلكيّ ابو الحسن نقلها عن البيروني في كتابهِ عن آلات العرب الرصديّة[1] دون ان يشير الى نقله فاحببنا اثبات كلامهِ بحرفهِ بعد اثباتنا لوصف ابي الحسن (في المشرق ٣ : ٩٨٣) ليُصلح منهُ بعض عباراتهِ وليُعرف كلام البيرونيّ الاصليّ لانّهُ كان عاين في مراقة ذلك السدس فوصفهُ وصفًا مدقّقًا فروى ابو الحسن كلامهُ بتغيير خفيف. وقد دللنا في ذيل الجملة على رواية ابي الحسن تسهيلًا للمقابلة. وفي اثر هذه المقالة جدول اسماء بعض المهندسين الذين عُرفوا في العراق وخراسان وما وراء النهر الحقناهُ بالمقالة تتمّةً للفائدة

واعلم انّ في المقالة الاولى عدّة الفاظ فارسيّة تدلّ على شهور الفرس القدماء فلا بُدّ من التنبيه عليها. وهذه اسماؤها على الترتيب مع زيادة «ماه» اي شهر على كل اسم[2]: ١ فروردين ٢ ارديبهشت ٣ خرداذ ٤ تير ٥ مرداذ ٦ شهريور ٧ مهر ٨ آبان ٩ آذر ١٠ دي ١١ بهمن ١٢ اسفندارمذ

امّا الايّام فهم يسمّون اسمًا لكل يوم من ايام الشهر كما يأتي ويضيفونها الى «روز» اي يوم: ١ هرمز ٢ بهمن ٣ ارديبهشت ٤ شهريور ٥ اسفندارمذ ٦ خرداذ ٧ مرداذ ٨ دي بآذر ٩ آذر ١٠ آبان ١١ خور ١٢ ماه ١٣ تير ١٤ جوش ١٥ دي بمهر ١٦ مهر ١٧ سروش ١٨ رشن ١٩ فروردين ٢٠ بهرام ٢١ رام ٢٢ باذ ٢٣ دي بدين ٢٤ دين ٢٥ ارد ٢٦ اشتاذ ٢٧ اسمان ٢٨ زامياذ ٢٩ مارسفند ٣٠ انيران (١

واعلم ايضًا ان الخجندي في بيان أثبتهِ اميال البلاد واعراضها وصعود الشمس وهبوطها يتّخذ حروف الابجديّة الدالّة على الاعداد مثالهُ يج يراد بها العدد ١٣. وان وجد حروف ثلاثة دلّ الحرف الاوّل على المئات نحو قلب اي ١٣٢. وان وجدت جملة حروف متتابعة دلّ الاوّل على الدرجات والثاني على الدقائق والثالث الثواني. مثالهُ كو يه لا معناه ٢٦ درجة و١٥ دقيقة و٣١ ثانية. لكنّنا ننبّه القرّاء على انّ بعض هذه الاعداد قد سقطت لتخرّق النسخة الاصليّة وقدمها

ل. ش

---

١) راجع المقالة ذاتها Ibid., p. 202-204

٢) اطلب الآثار الباقية للبيروني (٤٣–٤٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

(2) ربّ يسّر برحمتك

رسالة ابي محمود حامد بن الخضر الخُجندي في تصحيح الميل وعرض البلد بعد حصول ارتفاعات نصف النهار المحققة عند الانقلابين

الحمد لله الواهب الحقّ المرشد اليه وصلواته على النبيّ محمّد وعلى اهل بيته الطاهرين وسلّم تسليماً

لقد وقع الله بمولانا الامير السيّد الاجلّ وليّ النعم شاهنشاه فخر الدولة وفلك الأمة اطال الله في العزّ بقاءه وادام سلطانه وعلاءه قدْرَ العلوم واعزّ بها اهلها فهم على طبقاتهم يشكرون ذلك منه باعمال الفكر وبذل المجهود من الجدّ في اثارة طرق لم يُسبَقوا اليها ولم يُشارَكوا فيها . وقد اقتدى خادمه بهم ورصد ببلد الريّ الشمس بآلة قريبة الأخذ عظيمة القَدْر وحقّق بها المَيْل وعَرض البلد وهو يرصد بدولته العالية سائر الكواكب بما يعمله من ذوات الحلق وغيرها من الآلات ليبني على ما يخرج من ذلك الزيجَ الفخريّ الله تعالى يديم أيامه لتكون من تواريخ العدل والفضل بمنّه وسعد طولُها باسعدَ طالعٍ واصعد جد

رصدنا الشمس بالريّ سنة اربع وثمانين وثلثمائة من تاريخ الهجرة (٩٩٤—٩٩٥ م) وهي سنة ثلاث وستين وثلثمائة من سني يزدجرد (١ بآلة ابتدعتُها وهي قوس من دائرة قطرُها ثمانون ذراعاً وسمّيته السدس الفخري اذ هي سدس دائرة نصف النهار وسيأتي ذكرها فيما بعد على التفصيل وذلك بشهد جماعة من المهرة بهذا العلم المثبتة اسماؤهم في ثبت الارتفاعات فقد امضوا خطوطهم (3) بذلك فيه فوجدنا اكثر ارتفاع الشمس لنصف الخطّ يومين متواليين وهما يوم السبت ويوم الاحد روز هرمز دون در يهمن

---

١) يريد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك بني ساسان الذي انتصر عليه العرب سنة ٣٠ ﻫ (٦٤٢ م) في نهاوند فهرب وكانت وفاته سنة ٦٥٢ للمسيح

من ماه تير من السنة المذكورة متطابقين وهو مز يز م فدلّ ذلك على ان حلول الشمس اوّل السرطان كان في الليلة التي صباحها يوم الاحد روز بهمن بين نصف الليل سواء.

ثمّ رصدنا الشمس يوم الجمعة روز اسمان من هذه السنة فوجدنا الارتفاع نصف النهار ل يج له ويوم السبت كانت السماء متغيمة وكذلك يوم الاحد ووجدنا الارتفاع يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر نصف النهار ل يج لب ينقص عن ارتفاع يوم الجمعة روز اسمان من ماه آذر نصف النهار ثلاث ثوانٍ فدلّ ذلك على انّ حلول الشمس اول الجدي كان في الليلة التى صباحها يوم الاحد روز مهر سعيد من ماه آذر قبل نصف الليل بشي‌ء يسير والمدّة التي بين نصف نهار يوم السبت روز هرمز من دين(؟) ماه تير وبين نصف النهار يوم الاحد بهمن منهُ اربع وعشرين ساعة معتدلة فيجب ان نقسمها بنصفين لانّ حلول الشمس اوّل السرطان كان نصف الليل ومعدّلهُ (؟) كان اثنتي عشرة ساعة.

وينبغي ان نعرف سير الشمس في هذين الزمانين اللّذين عند نقطتي الانقلابين ولم نعرفهُ بالحقيقة لانا لم نعرف موضع الاوج من فلك البروج وما بين المركزين والتعديلات للشمس وغيرها ونحن نجهلها ولم يتشرنا(؟) ان نعرف مسير الشمس في هذين الوقتين من احد الزيجات المتقدّمة لانّ الميل وجدناهُ بهذه الآلة قريباً ممّا وجدهُ من كان قبلنا فكذلك نجد الاوج وما بين المركزين والتعديلات قريباً ممّا وجدوه قبلنا وان وقع التفاوت بينها فانهُ يكون قدرًا يسيرًا جدًا (4) وخاصّة في هاذين الموضعين من فلك البروج فلا يأتي لهُ في الميل قدر محسوس فعرفنا مسير الشمس في اثنتي عشرة ساعة من اول السرطان من زيج البتّاني فوجدنا مسيرها في هذا الزمان

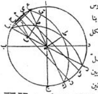
كح لو بالتقريب وكذلك المدّة التي بين نصف النهار يوم الجمعة روز اسمان من ماه آذر وبين نصف نهار يوم الاثنين روز انيران اثنان وسبعون ساعة معتدلة فنصفناها للعلّة التي ذكرناها وكانت ستًّا وثلاثين ساعة ووجدنا سير الشمس في هذه الساعات الا مح بالتقريب. ولانّا وجدنا ارتفاع نصف النهار يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر اقلّ من ارتفاع نصف نهار يوم الجمعة روز اسمان منهُ بثلاث ثوانٍ زدنا على مسير الشمس في هذه الساعة وهو الا مح خمس دقائق فصار ذلك مع الزيادة الو مح تكون ميل هذه الخمس دقائق من معدّل النهار ج ثوانٍ ويكون ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي الو مح ؟ مطا الارتفاع يوم الجمعة في هذه الستّ وثلاثين ساعة مع الزيادة

الوسح وما بين سير الشمس في هذه لو ساعة مع الزيادة من اوّل الجدي ومسيرها في يب ساعة من اوّل السرطان ح ب فيجب ان ينقص ح ب من الوسح ليصير الباقي وهو اكح لو مساويًا للبعد الذي هو من اوّل السرطان وهو البعد من اول الجدي بعد الزيادة على مسير الشمس في المدة المذكورة والنقصان منهُ. ويجب ايضاً ان تعرف ميل هذه الاجزاء المفروضة وهي ح ب فتجدهُ سه ند ل (؟) بالتقريب ويجب ان تنقصهُ من الارتفاعين المتطابقين اللذين هما ل نج له فيبقى ل نج ي ل (؟) وهو ارتفاع النقطة التي بُعدها من اوّل الجدي كبعد النقطة التي بعدها من اول السرطان د كح لو وهو نج ي ل (5) فنسميهِ اقلّ الارتفاعين المعدّل. فاذا فعلنا ذلك فقد وجدنا نقطتين من تلك البروج بُعدهما من نقطتي الانقلابَين بعدٌ واحد وهما . كح ل ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الصيفي عز يز م ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الشتوي ل نج يب ل وهو اقلّ الارتفاعين المعدّل فاذا نقصنا اقلّ الارتفاعين المعدل من اكثر (؟) وجدنا نز دز ل وهو ما بين الارتفاعين الموجودين فينبغي ان نعرف وترهُ فنجده نز نه لو (؟) وضربناهُ في ٢٥ فكان ٢٨٧ لو دقيقة فنحطهُ وسنذكر علتهُ فيما بعد. ثم ننقص القوس التي هي البعد من اوّل السرطان وهي ه كح لو من ٩٥ فيبقى قد لا كد ونعرف جيب هذا الباقي وهو نط نط يح قسمنا عليه المحفوظ فنخرج نز يه لا له (؟) فهو وتر ضعف الميل المحقق فقسمناهُ بنصفين فكان كح يز مه قوسناه وكانت قوسهُ كح لب كا وهو الميل الاعظم. وندير لذلك دائرة ابجد ونتوهمها (؟) د ر ل ؟ نصف النهار ونخرج قطري اج ب د يتقاطعان على ط على زوايا قائمة ونفرض نقطة ا سمت الرأس ونقطة ب الجنوب ونقطة ج سمت الرجل ونقطة د الشمال فيكون خط د ب قطر الافق ويكون قوس ا ب ربع دائرة نصف النهار الجنوبي ووجدنا الارتفاعين المذكورين المتطابقين عند منقلب الصيفي عز يز م ونفرضهُ في الصورة قوس يب ثم وجدنا ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي كح لو وهو ل يح لب ونفرضهُ في الصورة انصا (؟) قوس يح وهو الارتفاع المعدّل ونقصنا اقل الارتفاعين من اكثرهما فكان الباقي منهُ دارل وهو قوس رح قسمناها بنصفين على رو نهمل (؟) مه فمن البيّن انّ خط مه هو الفصل المشترك بين دائرة نصف النهار وبين معدّل النهار (6) ويخرج من نقطتي ر ح خطّي بس حن موازيين لخط مه فهما قطر

الدائرتين الموازيتين لمعدل النهار المشبهين بنقطتي بح من دائرة نصف النهار وبنقطتي ى ر م فلك البروج لان قوس بر ارتفاع نقطة ى وقوس بح ارتفاع نقطة ر من فلك البروج ثم رسم دائرة كلع ونصف دائرة لط ف يتقاطعان على ط وتقطع كل واحدة منهما دائرة ابجد على زوايا قائمة ونصل خطي عهك فهل . فخط عهك هو الفصل المشترك بين دائرة فطل من دائرة ابجد ونصل طه فهو الفصل المشترك بين دائرتي عطك فطل ولان كل واحدة من دائرتي عطك فطل قطعت دائرة ابجد على زوايا قائمة يكون خط طه عمودًا على دائرة ابجد فخط طه عمود على خطي عك فل وكل واحدة من زاويتي طهم قائمة ولكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة ونفصل من قوسي عط فط قوسي نز عق وكل واحدة منهما بقدر الباقي من نقطتي الانقلابين وهو ء كح لو ونخرج من نقطتي ق ز خطي قص زت عمودين على خطي مه فه ونثبت خط هط على حالتها ونحرك دائرة عطك حتى تقع نقطة ص من خط مه على خط بس وكذلك نحرك دائرة فطل حتى تقع نقطة ت من خط فه على خط حن فاذا اتفق ذلك يصير حينئذ قوس عط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اول السرطان الى آخر السنبلة ويصير قوس فط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اول الجدى الى آخر الحوت ونصل خطوط صت صف عك فخط عف منها مطلوب

فاقول ان خط عف معلوم . ان قوسي عط فط من فلك البروج متساويين (كذا) وكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة (7) فيبقى قوسا طق طز متساويين ويكون بُعدا نقطتي ح ي ؟ عن معدل النهار متساويين وهما قوسا ء حم باعيانها وبُعدا نقطتي الانقلابين عن معدل النهار ايضاً متساويين وهما قوسا حم نم فيبقى قوسا عي فح متساويين ويخرج وترهما وهما خطا عف يح (؟) المستقيمان فهما متساويان ولأنّ خطي عهك فهل قطرا الدائرة تكون زاوية صي التي يحيط بها خط عه وقوس ي مساوية للزاوية التي يحيط بها خط فه وقوس فح فيبقى زاوية صي التي يحيط بها خطا صع عي المستقيان مساوية للزاوية التي يحيط بها خطا تف فح المستقيان وايضاً لانّ القوس عق مساوية لقوس فز يكون خطا صع فت اللذان هما جيبان لها المكوسان متساويين وقد تبيّن انّ خطي عي حف المستقيمين متساويان يكون كلا خطي صع عي مساويين لكلي خطي تف فح وزاوية صي مساوية لزاوية تفح وقاعدة صي مساوية لقاعدة تح وقد كان

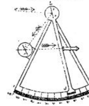
تبيّن انه موازٍ له فخطّا صه يح متوازيان متساويان والخطوط التي تصل من اطراف الخطوط المتساوية المتوازية هي ايضاً متوازية متساوية فخط صت مساوٍ لخط يح وخط يح المستقيم وتر قوس يح فخط صت وتر قوس يح وقوس يح معلومة فخط صت معلوم [وقوس طق معلومة وخط طه جَيبُها فخط مد معلوم وخط مه هو الجيب ار (؟) ٠٠ثم نسبة هص الى صت كنسبة هم الى هف لتشابه المثلثين وخطوط هص بصت هم الثلثة معلومة فضربُ صت في هم مقسوم على مه.. يخرج هف. فخط هف معلوم وهو وتر قوس هف فقوس هف معلومة وهي ضعف الميل الاعظم وقد (8) قسمنا بنصفين على م ٠قوس هم معلوم وهي الميل الاعظم المحقق فضربنا وقسمنا وقوّسنا كما ذكرنا قبل الشكل فخرج الميل الاعظم كج لب كا



واما عرض الري فانّا وجدنا اقلّ الارتفاعين المعدَّل ل يح لب ووجدنا ما بين الارتفاعين مز د ز ل فقسمناه نصفين فكان كج لب يح مه زدناه على اقلّ الارتفاعين المعدَّل وبلغ ندكه كا يه فهو ارتفاع نقطتي الاعتدالين فنقصناه من ٩٠ بقي له لد لح يه وهو عرض المحمّدية (١ فقد تبين ان جملة الميل كج لب كا في عصرنا هذا (٢ وعرض الري له لد يه

١) المحمّدية حصن الري ٢) وهذه صورة السدس المستعمل اليوم





وذلك ما دلّ عليه الرصد الميمون بالآلة المسمّاة السدس الفخري والحساب المتقن والفرق بين هذه الآلة وغيرها من الآلات انّ اصحاب الارصاد قد ادركوا بها الميل درجاً ودقائق فقط ونحن أدركنا بهذه الآلة درجاً ودقائق وثواني حتى ادركنا ردينه (كذا) واحدة . وقد وجدنا المَيل الاعظم عند اهل الهند كد درجة وبطلميوس وجده كج يا واصحاب الممتحن وجدوه كج له ونحن وجدناه كج لب كا (9) والتفاوت بين الطرفين من هذه الارصاد المذكورة اعني بين رصد اهل الهند وبين رصدنا نحوٌ من نصف درجة ويمتنع ان يقع هذا الاختلاف بين الآلتين فدلّ ذلك على انّ هذا الاختلاف ليس من جهة الآلات لانّه لو كان من جهة الآلات لوجب ان يكون وجود هذا المَيل زائدًا او ناقصًا لا على النقصان على نسق واحد فلمّا وجدوه على النقصان دلّ على ان الاختلاف من جهة أخرى وهو انّ اعظم ميل فلك البروج عن معدّل النهار غير ثابت. وقد ظنّ قوم انّ المَيل نقص

وسُئلتُ عن ذاك مرارًا هل يجوز نقصان المَيل فقلتُ لهم انّ ذلك غير ممتنع لانّ بطلميوس وبعض اصحاب الارصاد ذكروا انّ لكلّ واحد من كوكبي الزُّهرة وعطارد فلكاً خارج المركز وهو في سطح فلك جوزهر (؟) الكوكب ويميل عن فلك البروج بمقدار ما. ثمّ ينقص هذا الميل وينطبق الفلك الخارج المركز وفلك البروج ثمّ تنفتح في جهة أخرى الى غاية الميل ثمّ ينقص ايضاً وينطبق الفلكان ويعرض هذا الانطباق في السنة الواحدة مرّتين وكذلك يعرض في افلاك تداوير الكواكب الخمسة المتحيّرة فانّ الدائرة التي يسير عليها جرم الكوكب تنطبق مع الفلك الخارج المركز وينفتح ايضاً ويعرض هذا الانطباق في الدائرة الواحدة للكوكب على فلك تدويره مرّتين فان جازت هذه الحركة من جهة الطبيعة لتلك الخارج المركز ولفلك التدوير جازت حركة فلك البروج في زيادة ميله عن مركز النهار ونقصانه منه لأنّ كلي الامرين انما ندركهما على كرة واحدة وهي كرة الكواكب السبعة والامر فيهما شيء واحد ولا فرق بينهما فان كان احدهما جائزًا فالآخر جائز غير ممتنع (10) الحركة ظاهرة هيّنة ان كانت الاخبار المثبتة في كتب اصحاب الارصاد لها حقيقة الّا انّها حركة بطيئة جداً

تمت الرسالة والحمد لله ربّ العالمين

(قلنا) يؤخذ من هذه الرسالة امران : (الاوّل) أنّ الخجندي عرف احدى الطرق الجارية

اليوم في تعيين عرض البلد استناداً الى هذا المبدا بان ميل كل كوكب مساوٍ لارتفاع السمت ثم لارتفاع القطب المساوي لعرض بلد المراقبة . والامر (الثاني) انهُ كان اطّلع على اختلاف اثناء تلك البروج الذي كان في زمانه مساوياً ٢٣° ٣٢′ ١٨″ وهو ينقص ٦٨″ كل سنة

حكاية الالة المسمَّاة السدس الفخري

على ما حكاهُ ابو الريحان (البيروني) ايدهُ الله بعد ان شاهده

استخرج الاستاذ ايدهُ الله خطّ نصف النهار وبنى أعلى جنبتيه (١ حائطين أمتوازيين (٢ لخطّ نصف النهار وبُعد ما بينهما ٧ اذرع وبنى بينهما من جهة الجنوب طاقاً محكم الصنعة وهيأ في اعلاهُ ثقبةً مقدار قطرها أشبر (٣ وارتفاعها عن سطح الارض أ ٢٥ ذراعاً (٤ وركب على قطرها حديدةً أمتينة (٥ في حفر في الارض على استقامة مسقط غير مركز الثقبة ٢٥ ذراعاً (٦ وركّب على قطرها حديدة متينة فصل منها سهماً مربعاً مجوفاً صلباً ممتداً غير مائل طوله ٤٥ ذراعاً (٧ وركّب في احد طرفيه زرفيناً وعلّقه في الحديدة المعترضة على الثقبة فقام السهم مقام نصف قطر الدائرة أثم اداره في الحفرة المحفورة حتى عمل قوساً من دائرة وكانت سدسها (٨ وركّب فيها ألواحاً ملّسها وسوّاها وصحّحها وألبسها صفائح أشبه القسمة (٩ وقسم هذه القوس أ ٦٥ قسماً متساوية (١٠ فكانت درجةً وقسم كل دائرة من الدرج التي ظنّ أنها الميل ثلثمائة وستين قسماً وكان لكل قسم منها ١٥ ثوانٍ ولما بلغت الشمس فلك نصف النهار القت شعاعها من تلك الثقبة أعلى ثقوب (١١ خطّ نصف النهار أ لامتداد (١٢ الشعاع من الشمس على هيئة مخروط كان ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقداراً من مقدار

١) رواية ابي الحسن (المشرق ٣ : ٩٨٣) : على جنبيه
٢) ناقصة في رواية ابي الحسن
٣) روى ابو الحسن (ح) : سدس ذراع
٤) ح : عشرون ذراعاً   ٥) ح : مبنيّة
٦) ح : ثمّ تحفر في الارض على استقامة مسقط حجر مركز الثقبة عشرين ذراعاً
٧) ح : وتمد الى ألواح متينة وتسل منها بينهما مربّعاً صلباً ممتداً غير مائل طوله اربعون ذراعاً   ٨) رواية ابي الحسن : ثمّ يدار في الحفرة المحفورة حتى يحصل قوس قدرها سدس دائرة
٩) ح : صالحة للقسمة
١٠) ح : بستين قسماً وهو الصواب ولعلّ الناسخ في كل هذه المقالة غيّر الصفر بعدد ٥ فتأمل
١١) ح : على حوالي   ١٢) ح : ولأنّ امتداد

الثقبة [مهيئاً] آلة اخرى وهي دائرة قد ركّب (١١) فيها قطرين متقاطرين يوافق تقاطع حرفيها مركز الدائرة وعملها موافقةً لمقدار الشعاع الواقع على الارض (١ فكان اذا قرب (٢ من خطّ نصف النهار [اطبقها عليه وحرّكها بحركته رويدًا رويدًا (٣] حتى يوافي خطّ نصف النهار (٤ فيتحقّق بذلك موقع وسط الشعاع من فلك نصف النهار ويُعرف من ذلك ارتفاع الشمس [في خطّ الزوال (٥] فمن تلك الحلقة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع (٦ ومنها في الجهة الاخرى الى سطح الارض هو الارتفاع منقوصاً منهُ ٣٥ درجة وهو فضل بين السدس والربع والله الموفق للصواب

(ويباء بعد هذا الفصل جدول اسماء المهندسين العراقيين وغيرهم ثبتناه هنا لفائدته)

مما وقع من اسماء المهندسين

بالعراق وخراسان وما وراء النهر في الدولة الديلميّة وما يليها

ابو الريحان محمّد بن احمد البيروني   ابو نصر منصور بن علي بن عراق مولى امير المؤمنين   ابو محمود حامد بن الخضر الخجندي   ابو عبيد الضرير الجوزجانيّ   ابو سهل ويجان بن وستم الكوهي   احمد بن عبد الله حبش   ابو الجود محمّد بن الليث   ابو عبد الله محمّد بن احمد السبتي ؟   ابو عليّ بن الليث الخوليّ   ابو الحسن كوشيار بن لبان الجيليّ   ابو عليّ الحسن بن الحسين البصري ؟   ابو سعد القس ؟ سهل   ابو الحسن ادحور ابن استاذ حمص ؟   ابو سعيد احمد بن محمّد عبد الجليل البجزي   ابو الوفاء محمّد بن محمد البوزجانيّ الصغاني

١) ح : فلذلك ينبغي ان تهيّأ آلة اخرى لتحقيق ذلك وهذه الالة هي دائرة مساوية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويُعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة

٢) ح : فاذا قربت الشمس

٣) ح : اطبقت هذه الدائرة على شعاعها الواقعة على الارض وحُرّكت بحركة الشمس رويدًا رويدًا

٤) ح : حتى يقع مركزها على خطّ نصف النهار

٥) ح : في نصف النهار

٦) ح : فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع والله اعلم . اه

مطبوعات شرقية جديدة

Paul Monceaux: Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique. [Extrait des Mémoires présentés par divers Savants à l'Académie des Inscriptions, tome XII, 1re partie]. *Paris, Klincksieck*. 1907. — Prix 7f, 50.

بحث في الكتابات الحجرية عند قدماء نصارى افريقية

انّ جمعيّة الكتابات والفنون الفرنسويّة أدرجت هذا التأليف في اخر مجاميعها العلميّة دلالةً على اعتبارها لعظم شأنهِ. ولا غرو فانّ المؤلف قد عُرف سابقًا بابحاثهِ عن افريقية وتاريخها القديم ومن تآليفهِ كتاب نفيس وضعهُ «في تاريخ آداب افريقية المسيحية» وقد استحقّ اليوم شكرًا جديدًا من العلماء بجمعهِ في كتاب واحد الكتابات الحجريّة المتفرّقة التي وُجدت منذ بضع سنين على آثار النصارى الاقدمين في بلاد افريقية. ولم يكتفِ بنقلها بل اصلح فيها عدّة اغلاط واضاف اليها تفاصيل جديدة لبيان معانيها وقد صدَّر كتابهُ بمقدمة خطيرة عموميّة في فوائد هذه الكتابات ودلالتها التاريخيّة وما يستنتج منها لمعرفة اصحابها في دينهم ومعاشهم الاهلي وغير ذلك. واكثر هذه الكتابات تصف لنا تقى المسيحيين الافريقيين واكرامهم للرسولين بطرس وبولس وللقديس اسطفانوس وبعض القديسين الشرقيين كميناس الاسكندري ولاسيما الشهداء الوطنيين الذين تكرّرت اسماؤهم في هذه الكتابات فبيّنت بنوع واضح صدق الروايات المكتوبة قديمًا في وصف استشهادهم وفي تراجمهم التي كانت تتلى في الكنائس المحليّة وفي عدد هؤلاء الابطال الذين ضحّوا النفس والنفيس في سبيل دينهم. فنوصي محبّي الآثار المسيحيّة القديمة ان يقتنوا هذا الكتاب فانّهُ اصدق واوسع ما يجدونهُ في معرفة تاريخ افريقية النصرانية في القرون الاولى. هذا الى هوادة سعر الكتاب فانّهُ بخس الثمن بالنسبة الى وفرة موادّهِ ومضامينهِ

ر. م

H. B. Walters: The Art of the Greeks. 112 pl. et 18 figures dans le texte —*Methuen et C°, Londres*, 1906, gr. 8°.

صناعة اليونان وفنونهم

اوضح مؤلف هذا الكتاب غايتهُ من وضعهِ في الفصل الاوّل فيقول انهُ قصد بذلك

ان يرشد الطلبة الى معرفة الصناعة اليونانيّة وتقدُّمها في اطوارهـا المختلفة ثمّ ان يمثل لمحبي الفنون صورًا يفرزون بها خواصّ كلّ الطوار وكلّ انواع الصناعة ثمّ اخيرًا ان يشرح طرائق اليونان واساليبهم الصناعيّة في كل ضرب من ضروب الفنون وفي الموادّ التي كانوا يتخذونها لشغلهم. وهذه الغاية المثلّثة قد ادركها المؤلف بوضوح كلامهِ وحسن شرحهِ في بيان خواصّ الصناعة عند اليونان . ومن محاسنهِ تقديمهُ المقدّمات على كل فصل مع خلاصة فوائدهِ ومنها ايضاً عدّة جداول تاريخيّة وجغرافيّة ضمّنها فصول الكتاب وفي آخره فهرس عموميّ للموادّ على حروف المعجم. ومن مميّزات هذا التأليف بحث كاتبهِ عن خواص كلّ صناعة وطريقتها الفنيّة في استحضار الموادّ وتنظيمها واستخدامها لكل فن وهو بابٌ لم يطرقهُ الكتبة سابقًا في الكتب الصناعيّة الدارسيّة فأحسن الكاتب بفتحهِ وهو دليل خبير كما يظهر من مطاوي كلامه ومن قائمة الكتب التي راجعها لتصنيفـهِ وان كانت هذه القائمة ليست بكاملة لم تشمل في الغالب الّا الكتب الانكليزيّة . امّا تصاوير الكتاب فوافرة اختارها الكاتب بذوق واشار اليها في اثناء شرحهِ ليستـدلّ بها القارئ على مقصوده. على انّ صورة ناووس صيداء الشهير المثبتة في الصحيفـة ٥١ غير كافية لتعريف مزاياه الفنيّة فكان ينبغي ان يضاف اليها صورة ثانية لبيان محاسنهِ الحقيّة. وبالاجمال نقول انّ هذا الكتاب من افضل ما وضع للمدارس في درس الفنون اليونانية يستطيع بهِ الدارسون ان يقفوا على تاريخ الفنون الجميلة عند اليونان فيدركون ما كان لهم من الفضل السامي في هـذا المعنى بحيث اضحت اعمالهم قدوةً لكل طالبي المشروعات الصناعيّة الجميلة

الاب ر. موترد

LEÇONS DE THÉOLOGIE DOGMATIQUE, par **L. Labauche**, professeur à l'École de Théologie catholique de Paris, 1 vol. in-8, 1907, *Paris, Bloud et Cie*.

دروس اللاهوت النظري

لا تُحصى التآليف التي كُتبت في زماننا عن اللاهوت النظريّ وكثيرٌ منها لا يزال حتى اليوم دارجاً في المدارس الاكليركيّة يُتّخذ كدستور للمترشحين للكهنوت. لكنّ معظم هذه المصنّفات مكتوب في اللغة اللاتينية لا ينظر فيهِ غير ارباب الدين فأحبّ احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ الاب لابوش ان يصنّف في الفرنسويّة كتاباً لاهوتيّاً يستطيع العالميون ان يستقوا من مناهلهِ فضلاً عن الاكليريكيين . وهو تمم

العمل لأنّ العاملين في زماننا يخوضون في ميادين العلوم ويكتبون في مجلّات عديدة ويسمرن اعتراضات متعدّدة ضد الدين الكاثوليكيّ او يحتاجون الى درس المسائل الاعتقاديّة درساً متعمقاً فلا غنى لهم من كتاب واسع يقرّب اليهم كلّ الابحاث الدينية. ففي هذا التاليف ما يشفي غليلهم فانهم يجدون فيه كل قضية من قضايا الدين مشروحةً ومؤيدة بالبراهين النقلية البيّنة لصواب كلّ قضية وردّ الاعتراضات الشائعة فيها. وقد سعى المؤلف في تضمين كتابهِ الابحاث التي يتعاطاها اليوم علماء عصرنا متوخياً في كل بحث لأصدق الآراء واثبتها . ومدار هـذا القسم الأول على احوال الانسان الثلاثة حالة البرّ الاصلية التي خُلق فيها آدم ثمّ حالتهُ بعد الخطيئة الاصلية في حالة النعمة الموهوبة له بالاسرار ثمّ حالتهُ الاخيرة في المجد الذي سيناله بالعيشة الصالحة وعمّا قليل ان شاء الله تنتهي بقية الاقسام فيصبح هذا الكتاب منتجعاً ينال من فوائده كلُّ من يريد ان يُتقن معرفة دينهِ ويدافع عن ايمانهِ بازاء الملحدين . ونحن نحضّ اهل بلادنا الذين يعرفون اللغة الفرنسويّة على اقتناء هذا الكتاب والتروّي في مضامينهِ فيرون كم هو لذيذ ومفيد درس العقائد الدينية

س . ل

L'AU-DELA par **Mgr. Wilhelm Schneider** évêque de Paderborn. Ouvrage adapté de l'allemand par l'abbé **A. Gazagnol**, I vol. in-61, *Paris, Bloud et Cie*, 1907.

ما هنالك

هذا عنوان كتابٍ ألّفهُ احد افاضل اساقفة المانية السيد شنَيدر بحث فيهِ بحثَ فيلسوف ومؤرخ عمّا يرويهِ العقل والتاريخ عن العالم الآخر فمن حيث كاتبهُ فيلسوفٌ وضع لنتائجهِ مقدّمات عقلية راهنة يستنتج منها ذوو العقول السليمة وجود عالم آخر ينال فيهِ المرءُ جزاء عن اعمالهِ امّا ثواباً عن حسناتهِ اما عقاباً عن سيئاتهِ . ومن حيث هو مؤرخ استفتى الاجيال السابقة والامم القديمة عن معتقدها في دار البقاء بعد دار الفناء فوجدها لساناً واحداً في هذا القول لاتحيد فيهِ البتّة (اطلب مقالة الاب شرفاليو عن خلود النفس في المشرق ٩ : ٤٣٣-٥١٣) فاضاف اليها صوت الدين قبل المسيح في بني اسرائيل والاسفار المقدّسة ثم بعدهُ في الكنيسة وتواتر تعليمها منذ تجسّد الله الكلمة ورسلهِ الاطهار الى يومنا . فلا نظنُّ انّ ملحداً يقرأ هذا الكتاب دون ان تتّضح له انوار الابديّة فتجلي امام عيونهِ وتضمحلّ كلُّ شكوكهِ في الآخرة . فيا ليت احداً من اهل

بلادنا يعرب هذا الكتاب بترجمةٍ من الفرنسويّة كما نقلهُ اليها من الالمانية الخوري كازانيول فاجاد
ل. ش

SAINTE HÉLÈNE, par le P. A.-M. Rouillon O. P., 1 vol. in-12 (Collection «LES SAINTS»). *Paris, Lecoffre, J. Gabalda et C^ie^, 1907*

القديسة هيلانة

يحقُّ للشرق ان يكرم القديسة هيلانة اكراماً خصوصياً كما يكرمها الغربيُّون لانَّ فضلها على هذه البلاد معروف فانَّ جذب زوجها قسطنس كلور الى محبَّة المسيحيين وارتداد ابنها قسطنطين الى دين الحقّ واكتشاف الاماكن المقدَّسة التي تمت فيها اسرار الخلاص بميلاد وحياة وموت ابن الله كلّ ذلك مما يعود معظم فضلهِ الى هيلانة. وقد احسن كاتب هذه الترجمة بوصفها للقرّاء في رتبها الثلاث كزوجةٍ فاضلة وكامٍّ كاملة وكملكة باسلة فاستحقّت من هذه الوجوه الثلثة ان تُعظَّم وتكرَّم. فنثني على مؤلف هذه الترجمة ونتمنى لكتابهِ رواجاً في بلادنا ايضاً كما راج في اوربَّة
س. ل

G. Ferrero: Grandeur et décadence de Rome- V, LA RÉPUBLIQUE D'AUGUSTE, traduit de l'italien par M. U. Mengin — *Paris, Plon-Nourrit*. 5^e^ éd., 1907.

ارتقاء رومية وهبوطها: اوَّل حكم اوغسطس

يذكر قرَّاؤنا الفصل الواسع الذي وضعهُ حضرة الاب موترد (في المشرق ١٠: ٥٤١) من انطوان وكليوباطرة. وذلك الكتاب كان الجزء الرابع من تاريخ نفيس كتبهُ المؤرخ الايطاليّ الشهير في دولة الرومان من السنة ٣١ الى السنة ٤١ قبل المسيح. وها قد ظهر اليوم المجلّد الخامس من الترجمة الفرنسويّة لهذا الكتاب وهو يحتوي اعمال اوغسطس قيصر منذ انتصاره على انطوان في واقعة اكسيوم الى يوم تقلُّدهِ الامر بصفة نهائيَّة ثابتة كامبراطور مطلق السلطة الى آخر حياتهِ فهذه السنين قضاها اوغسطوس في تقرير حكمهِ وفي اعادة السلام التام لرومية ليُعدّ بذلك النفوس الى مجيء ربّ السلام وظهوره على الارض. فالسير فرّيرو يتتبع مآثر اوغسطوس في تلك المدَّة ويبيّن حسن سياستهِ في تدبير الامور مع اعيان رومية اوَّلًا ثمَّ مع بقيَّة الممالك الرومانيَّة الممتدَّة الى اقصى العالم المعروف في ذلك الزمان. وقد قسم روايتهُ الى فصول تشمل كلّ تلك الاعمال على طريقة سهلة يأنس اليها القارئ فيطالعها بكل بهجة ولذَّة متنقلًا معهُ من طور الى طور

ومن عمل الى آخر دون سأم ولا ملل ويجد تعبه كالمسافر الذي تأذّى طويلًا بالسحب والامطار والبروق والرعود فيرى السماء تركن الى الهدوء ثم تنقشع الغيوم شيئاً فشيئاً فتعود الشمس الى بهائها وتحيي الطبيعة المكدّرة بالانواء. هذا ما يُقال بالاجمال عن هذا القسم الجديد الذي يشبه اخوته السابقين في كلّ المزايا التي اثنينا عليها. امّا الترجمة فجامعة بين ضبط المعنى وطلاوة الانشاء وهي غاية المرام ل. ش

KARL BÆDEKER. **Egypte et Soudan.** Manuel du voyageur. 3e édit. refondue et mise à jour. 1908. *Leipzig K. Bædeker.* CLXXX-430 pp. avec 37 cartes et plans de villes, 65 plans de temples etc. et 57 vignettes.

دليل مصر والسودان لبداكر

ادلّة بيداكر الالمانيّة شهيرة تعدّدت طبعاتها وقد بلغ بينها دليل مصر والسودان الطبعة السادسة في الاصل الالمانيّ. وها قد صدرت الطبعة الثالثة الفرنسويّة منهُ وهي افضل من الطبعة الثانية لان صاحبها قد استفاد من الاصلاحات التي تحسّنت بها الطبعة الاخيرة فصار بالغاً الحدّ من الضبط والتدقيق وسعة المعلومات ووفرة الاوصاف للامكنة والآثار بحيث يتّخذهُ المسافر في رحلتهِ الى تلك الجهات كدليل امين وعالم معاً. ولا غرو فانّ المسيو ج. شتيندورف (G. Steindorff) اعاد فيه النظر للمرّة الثالثة ليجعله كتاباً في نهاية الضبط والحسن وهو الذي ادرج فيه كثيراً من الاوصاف للآثار المصريّة التي تُرى في مقدّمة هذا الدليل البالغة صفحاتها ١٨٠ صفحة (١ ولا نشرع هنا في وصف هذا التأليف الذي سبق لنا ذكر طبعته السادسة الالمانيّة ولا يسعنا الّا الثناء على هذه الطبعة الفرنسويّة الجديدة لا يؤخذ عليها غير مآخذ خفيفة لا تقلل شيئاً من محاسنها الجوهريّة اللهمّ الّا في امر آثار الكرنك وبالخصوص وصف هيكل عمون الكبير. فانهُ كان ينبغي على المؤلف ان يصلح الوصف ويغيّر الرسوم والصور

١) وقد حُذف من هذه المقدّمة الفصل المختصّ بالهندسة العربيّة لفرنتس باشا وجُعل مدله فصل في الصناعة الاسكندريّة للمسيو تاودور شرايبر. امّا الترجمة الفرنسويّة فانّا نُشعر بان صاحبها المسيو جرج كلام (G. Calame) ليس بفرنسويّ الاصل فكثيراً ما يترجم العبارة الالمانيّة بحرفها فتكون غريبةً غير مأنوسة في الفرنسويّة. والاولى ان يترجم هذه التآليف رجال فرنسيّون خبيرون باللغتين س. ر

على مقتضى الحفريّات والاكتشافات التي اجراها حديثًا العالمان الفرنسويّان ماسبيرو ولوغران (Legrain)

س٠ ر

اثر حسن لفقيد الوطن

منسوق بقلم رزق الله نعمة الله عبُّود

طُبع في المطبعة الادبيَّة (سنة ١٩٠٦ ص ٢٨٨)

هو مجموع مراثي وتآبين وترجمة حياة احد ادباء حمص واطبّائها النطاسيين الدكتور سليمان افندي الخوري الحمصي. وكنّا قد عرفنا الفقيد واجتمعنا به غير مرَّة في حمص واختبرنا بالعيان ما خصَّهُ الله من حسن السجايا ولطف الطباع والعلم الواسع فنشكر جامع الكتاب على همَّتهِ في تدوين اعمال ذلك الوطنيّ الهمام ليبقى ذكرهُ مطبوعًا في قلوب آلهِ الكرام ومعارفهِ واصحابهِ فيتّخذوه كقدوة حسنة ويقتفوا بآثارهِ ل٠ش

هدايا أُرسلت الى مجلَّة المشرق

١ الكون والمجد او الفنون الجميلة والكتبية نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبيّ. وهي الارجوزة المبتكرة التي وضعها حضرة المنسنيور في الصناعة والعلم والدين قد نجنا صفحات المشرق بقطع مستملحة منها ثم طبعها بتمامها في هذا الكرّاس وهي كخلاصة احد اجزاء كتابهِ المسمّى النجوى (في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٠٨ ص ٣٦)

٢ الولد والمدرسة. خطاب أُبين القاهُ حضرة الاب الملفان برتردس غصن مدير الدروس والتهذيبات في المدرسة الشرقيَّة امام اساتذتها وتلامذتها في ١٦ ك١ سنة ١٩٠٧ (ص ١٢)

٣ عواطف الصفا. سبع قصائد في مدح هامة الكنيسة المارونيَّة الجليل غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويك نظمها ورقمها تقدمة بنويَّة الخوري بطرس حبيقة تهنئة واحتفاء باعياد ارتقاء غبطتهِ الى السدَّة البطريركيَّة ووداعهِ وعودهِ الميمون من رومية العظمى والاستانة العليَّة ونيلهِ الوسام العثماني المرصّع من قبل تعطُّفات الذات الشاهانيَّة (١٩٠٧ص ٣٠)

شذرات

سنتنا الجديدة — تفضَّل جناب الكاتب البارع والشاعر المُجيد عيسى افندي اسكندر معلوف فكتب الينا هذه الاسطر ندوّنها شاكرين لفضلهِ:

اهنّكم بقدوم الاعياد السعيدة ما مرَّ وما هو حاضر وما سيأتي وتهنئ اياكم خصوصًا بما عزمتم عليه من نشر مجلتكم المشرق الغرَّاء شهريَّة فحققتم بذلك قول شاعرنا:

وإذا رأيت من الهلال نموَّهُ   أيقنتَ أنْ سيصير بدرًا كاملا

فلا زلتم تنيرون باشتها الوطن العزيز وآلهُ ولهذا اجتزئ الآن عن التطويل بهذا التاريخ الشعري الذي حضرني الان وعدده عشرة ابيات على عدد سني المجلة المحبوبة

في الشرق قد نشأت مجلة مشرقٍ ... أبحاثها الغرّاء ترفع قدرَهُ
والغربُ لم يُحرَم لشمّة نورها ... فغدت تصوّر للمشارق قطرَهُ
لله درّ القائمين بها فهم ... روض البرارة قد قطفنا زهرَهُ
أحيوا بها الدين المعلّى مثل ما ... قتلوا من الجهل الوخيم أضرَّهُ
فجنوا من العلم البديع أجلَّهُ ... وجلوا من الادبِ الرفيع أغرَّهُ
ولكم خفيٍّ قد تحرَّوا كشفهُ ... ولكم كتابٍ قد تولَّوا نشرَهُ
قد محّصوا تاريخنا بدرايةٍ ... حتى اذاعوا بالحقائق ذكرَهُ
وبكل موضوع مفيد ارهفوا ... أقلامهم حتى أرونا سرَّهُ
وبقوله (واذا رأيت ...) اشارةٌ ... قد حققت فيها المجلة أمرَهُ
فلذا المهنّئ قال في تأريخها ... جاءت هلال الشهر صارت بدرَهُ

٤٠٤ ٦٦٦ ١٥٣ ٦٩ ٢١١

سنة ١٩٠٨ م

مثل الحمامة والقرد — ارسل الينا حضرة الخوري مارون الخوري غصن هذا المثل وقد عرّبهُ من الافرنسية ونظمهُ رجزاً حسناً. وصاحب المثل احد ادباء الفرنسويين يُدعى المسيو ڤيلفرانش (Villefranche) صنّف عدَّة كتب تاريخية وادبية وامتاز بخدمتهِ النصوح للدين وبدفاعهِ عن الكنيسة وعن راسها المنظور الحبر الاعظم. وقد كتب هذا المثل ليبيّن لاهل عصرهِ انَّ كنيسة المسيح مهما تفاقمت عليها الاضطهادات وتمدَّت المحن تبقى في قوتها وعزّها لانها موعودة بالثبات على ابواب الجحيم أما اعداؤها فانَّهم لا يفلحون بل تذهب ريحهم وتتضعضع قواهم ولو كانوا قياصرة الرومان وابطال الزمان. فمثل الكنيسة مع مناوئيها كمثل الحمامة والقرد وهاك تحرير الحادثة :

حمامة بيضاء كالثلج النقي — حطّت على غصن لدونٍ مُورقِ
يُشرف فوق هوّةٍ مخيفه — كأنها غيبة كثيفه
فجاءها قردٌ بيمينه قذى — بيده فاسٌ وقد نوى الاذى
تسلّق الخبيثُ جذعَ الشجره — والحقدُ للمذنب اعمى بصره
لمّا دنا من الحمامة ابتدا — يضربُ غصناً فوقه قد قعدا
فقالت الورقاء يا حطّابُ — انظر ففي امرك ذا عجابُ
ألا ترى بأنّ هذا العودا — إخالهُ سندَك الوحيدا
اذا لدوه الحظِ كلّت سقطْ — وانت تهوي فوقهُ انت فقطْ
اجابها الغبيُّ كلّا كلّا — عن عملي لستُ اعودُ إلّا
فانت غايتي وكلُّ جدّي — انالُ حين تهبطينَ قصدي
ألا اعلمي بأنّ لي الطهارهْ — تجرحني كأنها حجارهْ
هديرُك الصبحيُّ قد ارّقني — وعن لذيذ النوم قد فرّقني
سهامهُ قد طعنت فؤادي — وكوّنت فيهِ دم الاحقادِ
اوراق ذي الافنان هاتيك التي — تخفيك تُلقى الآن وسط الهوّةِ
ثم انثنى يضاعف الشغل بلا — كلالةٍ فاترجّ في قعر البلا
فقرقع الغصن وخرّ ساجدا — ودهدهَ القردَ الغبيّ الحاقدا
تدحرج الوغدُ وحالًا صفقت — بخفة ورقاؤنا وحلّقت
فرفع القردُ حزيناً بصرهْ — يغشاه ظلُّ الموت مثل الغبرهْ
حينئذٍ أبصرها تطيرُ — نحو السما وحبّذا المسيرُ

*

كم مرّةٍ قد مُدّت الايادي — الى كنيسة المسيح الفادي
فقطّعت اغصانها المفيده — وهي التي بجذعهم مقصوده
ألا اضربوا يا ايها الاشرارُ — وعموا المسمى أيا كفّارُ
وقوّضوا بعزمكم اركانها — وقطّعوا بفأسكم اغصانها
لكن ستنظرون في النهامه — اجنحة البيعة كالحمامه

العزاء بالصليب نظم جناب الاديب فليكس افندي فارس هذه القصيدة تحت هذا العنوان فجعلها كأساة في فقد الاعزاء :

نحنُ تُربٌ يا ربِّ في الارض لكن ليستِ النفسُ قبضةً من رمادِ
إن يكن جسمُنا جمادًا فليس الـ قلبُ كالجسمِ نُطفةً من جمادِ
قد رضينا يا ربُّ حكمكَ بالمو تِ اقتصاصاً يحلُّ بالاجسادِ
ورضينا العذابَ دون دموع وقبلنا الشقا بدارِ الجهادِ
فجثنا عند الردى وهو يُلقي ظلمةَ السرِّ فوقَ ويلِ بادِ
ليس فينا شاكٍ من الموت لكن كلنا نشتكي لجرحِ الفؤادِ
لا ارى مدنفًا يعارضُ حكمَ الـله فالقبرُ مدخلُ الآبادِ
ليس غيرُ الاحياء يبكون لمَّا تملك الحيَّ ظلمةُ الالحادِ
ففناء الانسان موتٌ ولكن الفُ موتٍ فناء اهلِ الودادِ
ما بكى آدمُ لفقد جنانٍ كان فيه يعلو نظامَ الفسادِ
كبكاهُ لفقد هابيلَ لمَّا دامَ حيًا والموتُ طيَّ الفؤادِ
اولُ الناسَ لم يرَ الموتَ حتى ذاق بالعيشِ حرقةَ الاولادِ
إنَّ فقدَ الاحبابِ اعظمُ وقعاً من فراق البقا بقلبِ العبادِ
ليسَ موتًا ان يسكنَ المرءُ قبرًا رقدةُ القبرِ نهضةٌ من رقادِ
انّا الموتُ أن نلاقي عزيزًا راحلًا للظلامِ دون معادِ
انّا الموتُ أن ترى الأمُّ ابنًا جللته اسرَّةُ الاعوادِ
أن ترى الاختُ اختها في المنايا فتنادي ومَيتةٌ مَنْ تنادي
بحنينٍ كالطيرِ يبكي جناحًا كسرتهُ قساوةُ الصيادِ

. . .

يا الهي اترك حكمك فارفق بنفوسٍ تشقى لحنظ الودادِ
صيِّرِ القلبَ كالجسومِ جمادًا او فخفف وقعَ السهامِ الحدادِ

. . .

عفوك اللهُ ليس قولي اعتراضًا حكمةُ الخالقِ نقطةٌ في سوادِ
غير اني ارجو العزا لقلوبٍ البسَتها الاقدارُ ثوبَ الحدادِ

اطلبُ الحق لا ارى من عزاء غير سرّ مضيعٍ لرشادِ
لا ارى للعزاء غير صليب غارقٍ في دموع أم الفادي

الرجوم في مرصد الفاتيكان — قد اهدى احد مشاهير علماء الطبيعة في فرنسة المركيز دي مونروا (de Montroy) هديّة ثمينة لقداسة البابا بيوس العاشر في نسبة يوبيله الكهنوتي ألا وهي مجموع من الرجوم اعني الحجارة الواقعة على الارض من الاجرام الفلكيّة وهذا المجموع يبلغ ١٠٥ اعداد من الحجارة تختلف حجماً وثقلاً وقد اضاف اليها هاديها الفاضل جدولاً لتعريف كلّ حجر مع بيان زمن ومكان سقوطهِ. وسيُجعل هذا المجموع الفريد في المرصد الفاتيكاني

أسئلة وأجوبة

س كتب الينا جناب المعلم الفاضل ناصيف افندي الزغزغي ما نصّهُ: اذا الحق سبحانهُ وتعالى حكم على نفس عند وفاتها عشر سنوات مثلاً بالعذاب في المطهر هل ممكن الرجوع بالحكم وتخلص النفس من العذاب في مدّة اقل

نجاة النفوس المطهريّة

ج معلوم أنهُ ليس في الله تعالى تغيير البتّة كما انّ احكامهُ ثابتة منذ الازل. لكنّ الله منذ الازل ايضاً رأى كلّ ما يكون وما يستطيع ان يحدث فجعل احكامهُ الازليّة في بعض الامور طبقاً لهذه الطوارئ المنوطة باعمال البشر وذلك لطفٌ منهُ ورحمة. فقدّر مثلاً انّ داهيةً تحلّ بانسان ان حاد هذا الانسان عن جادّة الفضيلة ولا تحلّ بهِ ان عاش في الصلاح والله عالمٌ مع هذا أيّة الطريقتين يختار الانسان بحرّيتهِ. فحكم الله لا يتغير مهما صنع هذا الانسان سواء عاش في الصلاح فسلم او ارتطم في الاثم فهلك بالداهية. وكذلك الامر في عذاب المطهر فانّ الله منذ الازل بعد نظرهِ لاعمال نفس من النفوس أنها مستحقّة عقاباً زمنياً بالمطهر لمدّة عشر سنوات مثلاً يجعل حكمهُ هذا منوطاً بصلوات بعض اوليائهِ او ذبائح كنيستهِ الطاهرة فإن أُقيمت تلك الصلوات وقُدّمت تلك الذبائح قصرت مدّة العذاب وان لم تُقدّم بقي حكمهُ. وفي كلّ هذه الامور ومثلها لا يتغيّر حكمهُ تعالى وانّما التغيير في المخلوقات التي يمكنها أن تُصلي او لا تُصلي تقدّم تلك الذبائح او لا تقدّمها. والله تعالى عالم بكل ما ستفعل يرى كلّ ذلك منذ الازل دون أن تؤثر معرفتهُ السابقة في حرّية الانسان

س وكتب صديق سافر قريباً الى مصر انّهُ لحظ ليلاً لمّا كانت السفينة تمخر البحر ضوءًا لامعاً في مقدّمة السفينة على سطح المياه فسأل عن حقيقة الامر

فسفوريّة مياه البحر

ج هذا الضوء الخفيف يدعوهُ العلماء بالضوء الفسفوريّ (phosphorescence) وهو إشعاعٌ تستنير بهِ مياه البحر فترى ليلاً عندما تشقّ السفينة البحر في سيرها. وكان العلماء يجهلون سببهُ سابقاً ويظنّون انّ ذلك ينتج من احتكاك الدقائق الملحيّة التي في البحر فتشعّ كما يشعّ الفسفور عند احتكاكهِ وقد أُطلع العلماء على سبب الامر منذ بضع سنوات فتحقّقوا انّ سبب ذلك حيوينات بحريّة غاية في الدقّة لا يتجاوز كبر الواحدة منها ربع المليمتر يدعونها «اسرجة الليل» (Noctiluques) وهي تسكن عادةً اعماق البحار الّا انّها تصعد في بعض الاوقات على سطح المياه فاذا مسّتها السفينة بمرورها بينها ضاءت وشعّت. وربما ظهر شعاعها لبعض طوارئ الجوّ ايضاً كالحرارة وتكاثر الكهربائيّة او عنصر الاوزون (ozone) في الهواء الى غير ذلك من الاسباب. امّا عددها فيربي على الوف الالوف والمليارات. فسبحان الخالق

س وسأل من مصر الاديب ب. س: ما هي المدينة في الصين التي يدعوها مؤرّخو العرب بالخنساء مدينة الخنساء

ج مرّ في المشرق (٤: ٤١٠) كلامٌ في هذه المدينة نقلهُ حضرة الاب لامنس عن صبح الاعشى للقلقشندي. والخنساء يدعوها اهل الصين «هنغ تشاوو» وهي مدينة ساحليّة ومركز ولاية تشاكيانغ. وجعلتها الدولة الصينيّة من سلالة سُنغ التي تملكت من السنة ١١٢٧ للمسيح الى سنة ١٢٧٦ حاضرةً لملكها ودُعيت لذلك باسم «كنغ ساي» اي امّ المدن والعاصمة فصحّفها مَن رحل اليها من العرب باسم خنساء. وقد زارها الرحّالة مركو پاولو الشهير في اواخر القرن الثالث عشر واتّسع في وصفها وهو يدعوها «كينساي» (Quinsay) وهذه الرحلة كان اهتمّ بتنقيحها «كونتوغي» وذيّلها بحواشٍ واضاف اليها عدّة فوائد وقدّمها سنة ١٥٥١ «للسيّد لويس غنزاغا تنشيطاً لهُ في دروسهِ الجغرافيّة والفلكيّة» ولويس المذكور هو القديس لويس غنزاغا الذي كان عمرهُ لا يتجاوز وقتئذٍ ١٦ سنة ودخل الرهبانية اليسوعيّة. وفيها توفي بعد ان قضى فيها اقدس حياة وابرّ عيشة. وقد نُشرت هذه النسخة بعد وفاة القديس في فرنكفورت سنة ١٦١٧ — ١٦١٨ (راجع مجلّة الابحاث Etudes, 20 Nov. 1907, p. 554) ل. ش